

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



دولة فلسطين
وزارة التربية والتعليم العالي

الحديث الشريف وعلومه

للفيف الحادي عشر

فرع التعليم الشرعي

المؤلفون

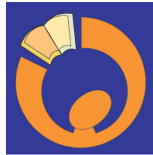
د. سعيد عبد الرحمن القزقي

أ. سائد عبد الريماوي

د. حمزة ذيب مصطفى «منسقاً»

أ. فاطمة محمد قزاز

د. إياد عبدالله جبور «مركز المناهج»



قررت وزارة التربية والتعليم العالي في دولة فلسطين

تدريس كتاب الحديث الشريف وعلومه لفرع التعليم الشرعي ابتداءً من العام الدراسي ٢٠١٠/٢٠١١

■ الإشراف العام: أ. علي شحادة مناصرة / مدير عام المناهج الإنسانية والاجتماعية

■ الفريق الوطني لمنهاج التعليم الشرعي:

الإشراف والتنسيق الإداري للفريق الوطني:

أ. علي شحادة مناصرة / مدير عام المناهج الإنسانية والاجتماعية / وزارة التربية والتعليم العالي

أ. حسام محمد أبو الرب / وكيل مساعد / وزارة الأوقاف والشؤون الدينية

أ. محمد جهاد الكيلاني / قائم بأعمال مدير عام التعليم الشرعي / وزارة الأوقاف والشؤون الدينية

الفريق الوطني:

د. إسماعيل أمين نواهضة

د. إياد عبد الله جبور «منسقاً»

د. سعيد سليمان القيق

د. حمزة ذيب مصطفى

د. شفيق موسى عيَّاش

د. خالد خليل علوان

■ تحكيم علمي:

أ. رائد شريدة

■ تحرير لغوي:

أ. كمال فحماوي

■ الإخراج الفني:

الطبعة الأولى التجريبية

٢٠١١م / ١٤٣٢هـ

© جميع حقوق الطبع محفوظة لوزارة التربية والتعليم العالي / مركز المناهج

مركز المناهج - حي المصيون - شارع المعاهد - أول شارع على اليمين من جهة مركز المدينة

ص. ب. ٧١٩ - رام الله - فلسطين، تلفون: ٢٩٦٩٣٥٠ - ٢٩٦٩٣٧٧ فاكس: ٩٧٠ - ٢٩٦٩٣٧٧

الصفحة الإلكترونية: www.pdc.edu.ps - العنوان الإلكتروني: pcdc@palnet.com

تقديم

الحمد لله الذي بحمده تتم النعم، وبتوفيقه وفضله يكتب النجاح، والصلاة والسلام على خير من علمَ فعلم، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الأطهار، وعلى من سلك دربه واتبع هديه إلى يوم الوعد المعلوم، وبعد،

فإن المنهاج التعليمي لأي مجتمع يمثل صورة ثقافية تربوية حضارية، يحرص أن تكون مشرقة تعبر عن أصالة معتقده وفكره، وتمثل اهتمامه البالغ في توعية أبنائه، وبناء شخصياتهم بناء يؤهلهم للإبداع في ميادين كافة، ومن هنا جاء بناء المنهاج الشرعي الفلسطيني ترجمة لقرار مجلس الوزراء باعتماد مسار التعليم الشرعي الثانوي واحداً من مسارات التعليم الثانوي، واعتماد شهادة الدراسة الثانوية العامة - الفرع الشرعي - فرعاً من فروع الثانوية العامة في فلسطين.

كما أن التعليم الشرعي يشكل لبنة مهمة في المنهاج الفلسطيني، الذي دأبت السلطة الوطنية الفلسطينية ممثلة بوزارة التربية والتعليم العالي، على بنائه وتطويره، وصولاً إلى منظومة تربوية شاملة، تحقق تكاملاً وتفاعلاً بين فروع العلم المختلفة.

وتنفيذاً لقرار مجلس الوزراء قامت وزارة التربية والتعليم العالي ممثلة بالإدارة العامة للمناهج الإنسانية، وبالتعاون والتنسيق مع وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، بالعمل على إنجاز هذا المنهاج مروراً بعدة مراحل كان أولها بناء الخطوط العريضة للمنهاج الشرعي الفلسطيني من خلال نخبة من العلماء الأجلاء، ثم القيام بتحكيم هذا العمل كذلك من خلال نخبة من العلماء والتربويين، وبعد ذلك تم الانطلاق بالمرحلة الثانية وهي تأليف الكتب الدراسية المقررة للصفين الحادي عشر والثاني عشر بالاعتماد على مجموعة من الفرق المتخصصة والتي اعتمدت على الخطوط العريضة والأهداف التي وضعت فيها.

إن وزارة التربية والتعليم العالي لا يسعها إلا أن تتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى كل من شارك في إنجاز هذا العمل. وإنها إذ تفخر بالكفاءات الوطنية التربوية والأكاديمية التي شاركت في إنجاز هذا المنهاج لترجو من الإخوة المعلمين العمل على المشاركة في إنجاز هذا المنهاج وتيسير الوصول إلى أهدافه، باستثمار ما يتاح من وسائل تعليمية وإمكانات تربوية، والمشاركة في إثرائه أثناء التطبيق في الميدان التربوي.

وزارة التربية والتعليم العالي

مركز المناهج

الإدارة العامة للمناهج الإنسانية والاجتماعية

نيسان ٢٠١٠ م

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير المرسلين محمد إمام الأولين والآخرين، وعلى آله وصحبه
الغر الميامين، ومن استن بسنتهم وتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.
أما بعد،

فهذا كتاب في الحديث الشريف وعلومه، حرصنا على تأليفه لأبنائنا طلبة الصف الحادي عشر الشرعي،
وقد راعينا فيما عرض فيه من موضوعات ما يتلاءم مع مستوى النضوج العقلي والفكري لأبنائنا من جهة،
وما يتسم به ديننا الحنيف من يسر من جهة أخرى؛ فقدمنا المعرفة بأسلوب سهل ميسر، يحفز العقول للتفكير
والتحليل والتركيب، ويربط المعرفة بواقع الحياة.

كما حرصنا على إثراء الكتاب بأنشطة تتطلب الرجوع إلى المكتبة، والاستفادة من وسائل التعليم المختلفة
التي تتيحها التقنية العلمية الحديثة، ويتطلبها العصر، وقد التزمنا المنهج العلمي في شرح ما عرضنا من أحاديث
شريفة، وما أوردنا إلا ما ثبت عن الرسول ﷺ.

وقد حرصنا أن يكون في المنهاج صقل لشخصية الطالب، وتنمية لمعارفه وقدراته ومهاراته وملكاته الذاتية،
كما حرصنا على تجنب الأسلوب التقليدي في شرح الحديث، واجتهدنا أن يخرج الطالب بحصيلة جيدة من
الأحاديث الشريفة حفظاً وفهماً.

وقد اجتهدنا في ربط الأحاديث بواقع الحياة بأسلوب ومنهج وسطي لا إفراط فيه ولا تفريط. وكلنا ثقة
بحرص المعلمين على ذلك، فبجهودهم وخبراتهم وإخلاصهم تتحقق الفائدة وتعم.
وقد تضمن الكتاب ثلاث وحدات:

الوحدة الأولى: علوم الحديث، وتشمل علم مصطلح الحديث، والفرق بين الحديث والسنة، والأثر والخبر،
ثم السند والمتن، والحديث دراية ورواية.

ثم تناولت الوحدة التعريف بالكتب الستة، والحديث النبوي والقدسي، ثم الحديث المرفوع والموقوف
والمقطوع والمرسل، وأنواع الحديث الصحيح والحسن والضعيف، وعلم الجرح والتعديل، وأهم المصنفات فيه.
ثم تناولت الحديث الموضوع، وأسباب الوضع، وتصدي العلماء للوضع في الحديث، وبعض المصنفات في ذلك.
الوحدة الثانية: الحديث الشريف (حفظ وشرح)، شملت مجموعة من الأحاديث الشريفة، وتناولنا شرحاً
وبياناً، معرفين براوي الحديث، مع بيان ما ورد من معانٍ لغوية واصطلاحية، والفوائد الفقهية والتربوية، ثم
استنباط ما ترشد إليه الأحاديث.

الوحدة الثالثة: الحديث الشريف (شرح)، وقد اعتمدنا فيها منهجية الوحدة السابقة في توضيح وبيان
ما فيها من معانٍ وفوائد.

وإننا إذ نظرنا هذا الكتاب بين يدي أبنائنا الطلبة، وإخواننا المعلمين، لنرجو أن يكون في ملحوظاتهم حول
ما فيه من موضوعات إثراء يساهم في تطويره وتحسينه، فهذه نسخة أولى تجريبية، بذلنا فيها مجهودنا،
فإن كان في ذلك إحسان فمن الله تعالى، وله الحمد والثناء الحسن، وإن كان غير ذلك، فمننا ومن الشيطان،
والله ولي الغفران، وإياه سبحانه وتعالى نسأل أن ينفع بهذا الكتاب، وأن ييسر تحقيق أهدافه.

والله ولي التوفيق

المؤلفون

المحتويات

الفصل الدراسي الأول		
٤	علم مصطلح الحديث	الدرس ١
٨	الحديث النبوي الشريف	الدرس ٢
١٢	جمع الحديث وتدوينه	الدرس ٣
١٨	مصنفات الحديث الشريف	الدرس ٤
٢٣	أنواع الحديث (١)	الدرس ٥
٢٧	أنواع الحديث (٢)	الدرس ٦
٣٠	علم الجرح و التعديل (١)	الدرس ٧
٣٣	علم الجرح و التعديل (٢)	الدرس ٨
٣٥	الحديث الموضوع	الدرس ٩
٤٠	حلاوة الإيمان	الدرس ١٠
٤٤	حقن دماء المسلمين	الدرس ١١
٤٨	مجالس العلم	الدرس ١٢
٥١	التفقه في الدين	الدرس ١٣
٥٤	الحسد والغبطة	الدرس ١٤
٥٩	الناس والهدى	الدرس ١٥
٦٤	الصبر على المصائب	الدرس ١٦
٦٧	المؤمنون شهداء الله في الأرض	الدرس ١٧
٧١	نهى النبي ﷺ عن تجصيص القبور والبناء عليها	الدرس ١٨
٧٤	فضل الصدقة	الدرس ١٩
٧٨	العمل والتعفف عن السؤال	الدرس ٢٠

الوحدة الأولى:
علوم الحديث

الوحدة الثانية:
الحديث الشريف
حفظ وشرح

الفصل الدراسي الثاني		
٨٣	القضاء لا يحل حراماً ولا يحرم حلالاً	الدرس ٢١
٨٦	المسؤولية	الدرس ٢٢
٩٠	هدايا العمال	الدرس ٢٣
٩٢	اختيار الأزواج	الدرس ٢٤
٩٨	العدل بين الأولاد	الدرس ٢٥
١٠١	فضل التجاوز عن المعسر	الدرس ٢٦
١٠٤	بركة الصدق في البيع	الدرس ٢٧
١٠٨	فضل الحرث والزرع	الدرس ٢٨
١١١	أخلاقيات الحرب	الدرس ٢٩
١١٤	حقوق المسلم على المسلم	الدرس ٣٠
١١٨	العدل في القضاء	الدرس ٣١
١٢٢	شدّ الرحال إلى المسجد الأقصى	الدرس ٣٢
١٢٦	وجوب الزكاة	الدرس ٣٣
١٢٩	أجر المجاهد	الدرس ٣٤
١٣٣	أهل الإيمان أهل الحقّ	الدرس ٣٥
١٣٧	صنفان من أهل النار	الدرس ٣٦
١٤١	مكانة المسجد الأقصى المبارك	الدرس ٣٧
١٤٤	فضل مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا	الدرس ٣٨
١٤٧	أجر الشهداء	الدرس ٣٩
١٥١	رحمة الناس	الدرس ٤٠
١٥٥	المصادر والمراجع	

الوحدة الثانية:
الحديث الشريف
حفظ وشرح

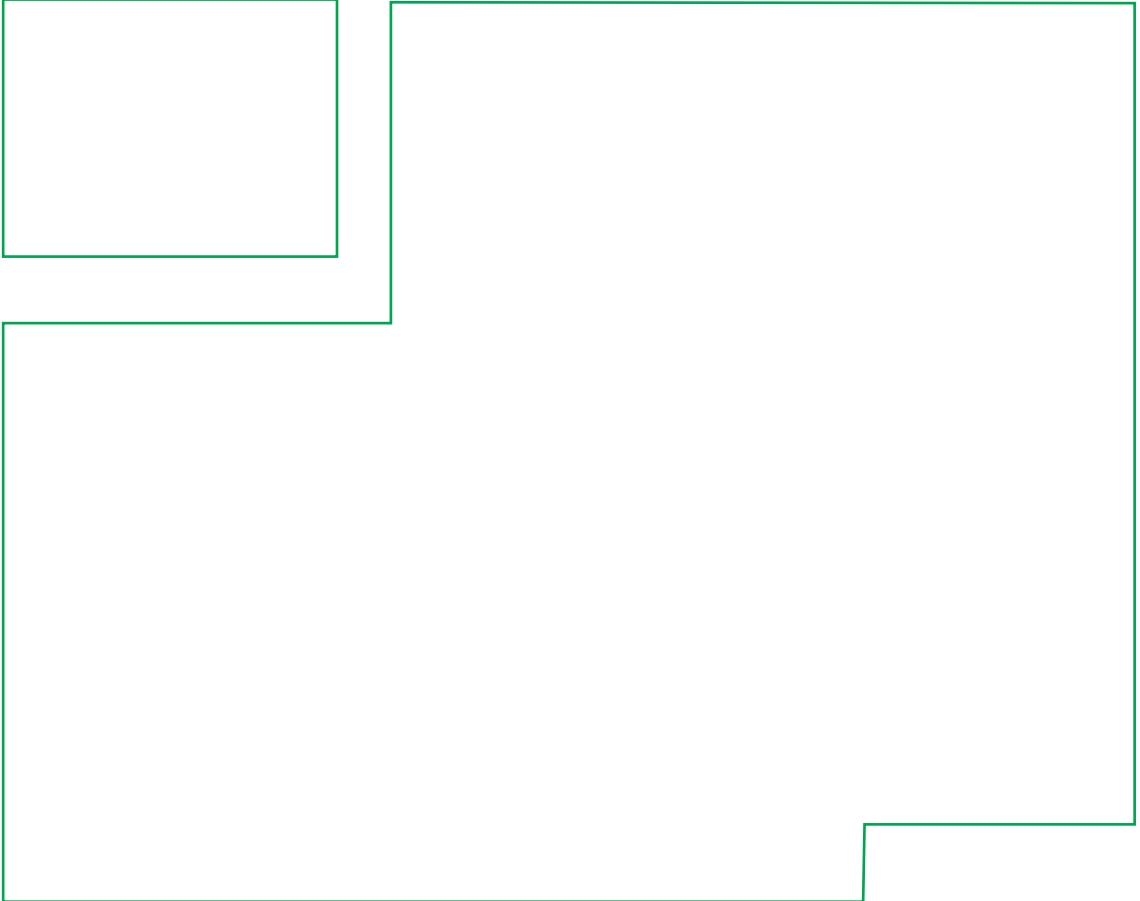
الوحدة الثالثة:
الحديث الشريف شرح

الفصل الدراسي الأول



الوحدة

علوم الحديث



■ أهميته، أهدافه، غايته

علم مصطلح الحديث من أهم علوم الإسلام، وأكثرها ضرورة للثقافة الإسلامية بخاصة وللدين الحنيف بعامة؛ فبه تميز الحديث المقبول من المردود، وبمعرفة الأحاديث الثابتة يتم حسن التأسي بالنبى ﷺ فالسنة النبوية الشريفة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع وهي أصل في ذلك كالقرآن الكريم؛ قال **تعالى**: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ الحشر: ٧، وقال رسول الله ﷺ: «وإنَّ ما حرَّم رسولُ الله كما حرَّم الله»^(١).

■ تعريف علم مصطلح الحديث وموضوعه:

مصطلح الحديث: علم بأصول وقواعد يُعرَفُ بها أحوال السند والمتن من حيث القبول والرد. ويظهر من التعريف أن موضوع علم المصطلح هو السند والمتن من حيث القبول والرد.

■ اختصاص الأمة الإسلامية بهذا العلم:

إن علم مصطلح الحديث قد اختصت به أمة الإسلام دون سواها من الأمم، وفي ذلك دلالة على أن الإسلام خاتم الأديان، ومحفوظ إلى يوم الدين، وهو الحجة على الناس جميعاً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وحفظ الحديث إنما هو ثمرة من ثمار علم أصول الحديث ومصطلحه، فضلاً عن ارتباطه بحفظ القرآن الكريم الذي تكفل الله تعالى بحفظه؛ قال **تعالى**: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ الحجر: ٩؛ لأن الحديث النبوي مبين للقرآن الكريم، ومفصّل لمجمله، ومقيّد لمطلقه، ومخصّص لعامّه. والسنة النبوية هي الترجمة العملية للقرآن الكريم. كما وهناك أحكام لم ترد في القرآن الكريم وإنما وردت في السنة النبوية.

نشاط:

أذكر ثلاثة أحكام شرعية وردت في السنة ولم ترد في القرآن.

١ جزء من حديث رواه الترمذي في سننه كتاب العلم: باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ، وقال: حديث حسن غريب من هذا الوجه.

■ نشأته:

نشأ علم مصطلح الحديث وتطور عبر مراحل متعددة نوجزها فيما يأتي :
أولاً: مرحلة التثبيت في نقل الأخبار بشكل عام، تطبيقاً لدعوة الإسلام إلى تحري الصدق في الأقوال ونقلها، وقد جاء ذلك في القرآن الكريم في أكثر من آية؛ **قال تعالى**: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَهُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ **الجزات ٦**. وكذلك حض الرسول ﷺ على التثبت في رواية الحديث، والتأكد مما يرويه المرء، وأمر بذلك بصريح العبارة **فقال ﷺ**: «نصّر الله امرأ، سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه، فربّ مُبلِّغ أوعى من سامع»^(١).

ولهذا كان الصحابة رضي الله عنهم يتحرون الرواية الدقيقة، ويتثبتون من كل ما يروى عن رسول الله ﷺ ويدققونه، سيما إذا كان هناك شك في صدق الناقل، وفي ذلك دليل على الاهتمام بموضوع الإسناد وبيان لأهميته في قبول الأحاديث أوردها.

وبعد أن نشأ الخلاف في القرون الأولى ووقعت الفتنة وظهرت البدع والتقولات أخذ علماء الأمة يتحرون ويتثبتون من الرواية بصورة دقيقة، قال التابعي ابن سيرين -رحمه الله تعالى-: «لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سمّوا لنا رجالكم، فكان يُنظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم». ومن هنا بدأ ظهور علم الجرح والتعديل والسؤال عن رواة الأخبار، والتثبت من المتصل والمنقطع من الأسانيد، وتعرض العلماء الى بعض الرواة بالطعن فيهم سواء أكان ذلك من جانب العدالة أم سوء الحفظ، وكان الكلام في هذا المجال قليلاً لقلّة الرواة المجروحين.

ثانياً: لقد توسع العلماء فيما بعد في هذا العلم وظهر البحث فيه من جوانب متعددة لضبط النص والتثبت فيه ومعرفة العلل الخفية في السند والمتن، وطرائق تحمل الحديث (أخذه وتعلمه) وأدائه (روايته فيما بعد) ومعرفة ناسخه ومنسوخه وغريبه، والتفريق ما بين الحديث الصحيح والحسن والضعيف بأنواعه، والموضوع، والتعرض إلى الحديث الموقوف والمقطوع. غير أن ذلك كان يتم في هذه المرحلة مشافهة ويتناقله العلماء فيما بينهم ويتحدثون فيه.

ثالثاً: تدوينه مع غيره من العلوم الشرعية:

انتقل العلم في هذه المرحلة إلى طور آخر أكثر نضجاً ودقة، فبدأ طور التدوين والكتابة والتأليف

١ رواه الترمذي: كتاب العلم: ما جاء في تبليغ السماع، وقال: حديث حسن.

فيه . غير أنه لم يكن منفصلاً أو مستقلاً عن غيره ، بل كان متفرقاً في بطون الكتب ومختلطاً مع غيره من العلوم الشرعية الأخرى كعلم الفقه والأصول ، أو مدونات ومصنفات الحديث النبوي وغير ذلك . والناظر في كتابي (الرسالة) وكتاب (الأم) للإمام الشافعي وسنن الترمذي وغيرها يجد ذلك جلياً وواضحاً .

رابعاً : التصنيف المستقل :

وصل علم مصطلح الحديث في هذه المرحلة الى طور النضج ، فأخذ يستقل بذاته في التصنيف والتأليف ، وأخذ العلماء يفرّدونه بمؤلفات وكتب خاصة به لا تشرك معه شيئاً آخر من العلوم الشرعية ، وكان ذلك في منتصف القرن الرابع الهجري .
ومن أوائل من ألف في هذا العلم على هيئة مستقلة العلامة القاضي الرامهرمزي (ت : ٣٦٠ هـ) في كتابه الشهير «المحدث الفاصل بين الراوي والواعي» ، ثم تابعت المصنفات في ذلك .

- ١ أوضح علم مصطلح الحديث من حيث ، مفهومه وموضوعه .
- ٢ أضع دائرة حول رمز الأجابة الصحيحة فيما يأتي :
 - أ دعا الإسلام الى الصدق :
 - ١ في الأقوال ونقلها بشكل عام .
 - ٢ في الأقوال ونقلها لأجل رواية الحديث النبوي وذلك لأهميته وضرورته .
 - ٣ في الأقوال ونقلها في أكثر الأحوال .
 - ٤ في الأقوال ونقلها حتى يضمن سلامة نقل القرآن الكريم على وجه الخصوص .
 - ب مر علم مصطلح الحديث في :
 - ١ ثلاث مراحل رئيسة
 - ٢ مرحلتين رئيسيتين
 - ٣ أربع مراحل
 - ٤ ليس هناك من تفصيل دقيق في المراحل
- ٣ بم اختصت الأمة الاسلامية عن غيرها من الأمم ؟
- ٤ أبين أهمية علم مصطلح الحديث وضرورته .
- ٥ كيف يكون حفظ الحديث النبوي الشريف من مقتضيات حفظ القرآن الكريم؟

لقد هيا الله سبحانه وتعالى الأسباب لحفظ الحديث النبوي الشريف، فظهر رجال ذبوا الكذب عنه، وبذلوا أنفسهم في سبيل حفظه وتنقيته وتنقيحه مما ليس منه، فجمعوا الحديث بدقة لا تسمح بدخول شائبة اليه.

■ تعريف الحديث:

الحديث لغة: الجديد، ويأتي بمعنى الكلام أيضاً، أو كل ما يتحدث به .
والحديث اصطلاحاً: هو ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية .
ولا يخفى أن كثيراً من أحاديث النبي ﷺ هي كلام، وهي جديدة بمعنى أنها إضافة نبوية شريفة مؤيدة بالوحي .

الفرق بين الحديث والسنة:

عرّف العلماء السنة بأنها: كل ما أثر عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل، أو تقرير، أو صفة خلقية .
وهي بذلك مرادفة للحديث النبوي، إلا أنها تظهر الجانب التطبيقي للحديث الشريف، وهو جانب التأسسي، فلا يدخل مثلاً في تعريف السنة الكلام عن طوله ﷺ أو لونه؛ لأن هذا لا يهمننا في جانب العمل والافتداء .

وبذلك يظهر الفرق بين الحديث والسنة؛ فالحديث يختص بكل ما يتعلق بالنبي ﷺ، أما السنة فتختص بجانب الأحكام التي فيها الافتداء والتأسي . فالمطلوب من المسلم أن يقتدي بالرسول ﷺ في كل أمر، وكذلك أخرجنا من تعريف السنة الصفة الخلقية، لأنه لا مجال فيها للتأسي والافتداء، كطول النبي ﷺ، ولونه وشعره وعينه، فهذه أمور غير قابلة للافتداء والعمل .

- هل يطلق الحديث الشريف على الخبر والأثر؟
- وما الفرق بين الخبر والأثر والحديث؟

الخبر:

لغة: النبأ.

واصطلاحاً: ما جاء عن النبي ﷺ أو عن غيره.

بينما الحديث ما ورد عن النبي ﷺ.

والأثر:

لغة: بقية الشيء.

واصطلاحاً: فيه قولان:

- الأول: مرادف للحديث: أي أن معناهما في الاصطلاح واحد.
 - الثاني: مغاير له: وهو ما أضيف إلى الصحابة والتابعين من أقوال أو أفعال.
- والذي يحدد معناه الاصطلاح هو السياق الذي يستخدم فيه.

■ السند والمتن:

إن الحديث النبوي سند ومتن، ولا يمكن أن يحكم على الحديث النبوي بالقبول أو الرد ما لم يخضع السند والمتن لقواعد مصطلح الحديث. ومن هنا تتبين لنا أهمية السند والمتن في الحكم على الحديث بالصحة أو الضعف.

نشاط:

أذكر كتابين تخصصاً في ذكر الأخبار والآثار المنقولة عن الصحابة والتابعين.

تعريف السند:

لغة: المعتمد، وسمي بذلك؛ لأنه يُستند إليه ويُعتمد عليه في معرفة مدى صحة الحديث.

أما اصطلاحاً: فهو سلسلة الرواة الموصلة إلى المتن.

تعريف المتن:

لغة: ما صلب وارتفع من الأرض.

واصطلاحاً: ما ينتهي إليه السند من الكلام.

■ علم الحديث: رواية ودراية:

إن من المصطلحات المتداولة في علم المصطلح، علم الحديث رواية ودراية، فما المقصود بهذين المصطلحين؟ وما موضوع كل منهما؟

علم الحديث: رواية:

هو العلم الذي يقوم على نقل ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية نقلاً دقيقاً محرراً.

فموضوع علم الحديث رواية: أقوال الرسول ﷺ وأفعاله وتقريراته وصفاته، من حيث نقلها نقلاً دقيقاً، فهو يتناول ضبط كل حديث ونقله.

ومما يشمله علم الحديث رواية حفظ السنة وضبطها، والاحتراز عن الخطأ في نقل ما أضيف إلى الرسول ﷺ، وبهذا يتم حسن الاقتداء به ﷺ، والتزام أوامره.

علم الحديث: دراية:

هو القواعد والضوابط التي يعرف بها حال الراوي والمروي من حيث القبول والرد. فالراوي ناقل للحديث، والمروي ما أضيف إلى النبي ﷺ، أو إلى غيره من الصحابة أو التابعين أو غيرهم.

- فموضوع علم الحديث: دراية: السند والمتن، السند من جهة أحوال الرواة، واتصاله أو انقطاعه، وعلوه أو نزوله، وغير ذلك. والمتن من جهة صحته أو ضعفه وما يلحق بذلك.
- ففائدة علم الحديث: دراية: معرفة المقبول من المردود.

وعلى هذا فلا يستغني أحد العلمين عن الآخر، بل إن علم الحديث: رواية لا يجدي ما لم يقترن بعلم الحديث: دراية، كي يمكن معرفة المقبول من المردود.

وقد أطلق علماء الحديث على «علم الحديث دراية» اسم «علوم الحديث» أو «مصطلح الحديث» أو «أصول الحديث»، وكلها أسماء لمسمى واحد.

- ١ أعرّف الحديث النبوي لغة واصطلاحاً .
- ٢ أضع إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة ، وإشارة (X) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :
- أ () يعرّف السند بأنه سلسلة الرواة .
- ب () أهم ما في علم الحديث رواية تحرير المتن ونقله نقلاً دقيقاً .
- ج () موضوع علم الحديث : دراية التحقق من صحة السند .
- د () يطلق على علم الحديث : دراية اسم (مصطلح الحديث) .
- ٣ أفرق بين المصطلحات الآتية : ■ الحديث والسنة . ■ الخبر والأثر .
- ٤ أبين الفائدة المترتبة على كل من : علم الحديث : رواية ، وعلم الحديث : دراية .

انقضى القرن الأول الهجري، والقرآن محفوظ في الصدور، ومكتوب على الألواح والعظام ونحوها، والحديث النبوي مروى على الألسنة، محفوظ في الصدور، معني به أشد العناية، من قوم مؤمنين أقوى إيمان وأثبتة، حريصين أشد الحرص على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ كلهم ثقة أمين إن حدث، وكلهم واع يقظ إن سمع، لاتنطوي قلوبهم على غير الإخلاص لهذا الدين وأهله، فحملوا الحديث وأدوه بكل أمانة وإخلاص لمن خلفهم. وقد مر جمع الحديث وتدوينه بمراحل نبينها فيما يأتي:

■ أولاً: جمع الحديث في عهد الرسول ﷺ:

لم يتخذ ﷺ كتاباً متخصصين لكتابة الحديث وتدوينه كما اتخذ للقرآن الكريم كتاب وحي، فكانت كتابة الحديث في نطاق ضيق من بعض الصحابة، وبجهود فردية، بإذن خاص من رسول الله ﷺ، وقد أذن لبعضهم في الكتابة لأنفسهم ولغيرهم، وما يدل على ذلك أن أكثر من ثلاثين صحابياً كان لديهم كتب وصحف، فيها جملة من الأحاديث، وقد عُرف من هذه الصحف:

- ١ الصحيفة الصادقة للصحابي الجليل عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه ضمت نحو ألف حديث.
- ٢ صحيفة جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه، وكان قتادة بن دعامة السدوسي يرفع من منزلة هذه الصحيفة، ويقول: لأنا بصحيفة جابر بن عبد الله أحفظ مني لسورة البقرة.
- ٣ صحيفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهي صحيفة صغيرة، تشتمل على العقل - أي مقادير الديات -، وعلى أحكام فكاك الأسير.
- ٤ صحيفة سعد بن عباد رضي الله عنه.

وكان بعض الصحابة قد كتب عن رسول الله ﷺ بعض أحاديثه، بإذن خاص منه كعبد الله بن عمرو بن العاص، وأبي شاه اليمني.

■ ثانياً: كتابة الحديث في عهد الصحابة والتابعين رضي الله عنهم:

انتهى عصر النبوة بانتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وجاء دور الصحابة والتابعين، فاختلقت آراؤهم في كتابة الأحاديث وتدوينها في الكتب بين كاره ومبيح.

فرويت كراهة الكتابة عن بعض الصحابة، كعمر بن الخطاب، وعبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابت، وعدد من التابعين، كما رويت إباحة الكتابة عن الكثير من الصحابة أيضاً، كعلي بن أبي طالب، وأنس بن مالك، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وجمع من التابعين.

أسباب اختلاف السلف في كراهة الكتابة وجوازها:

ورد عن النبي ﷺ حديث ينهى عن كتابة شيء غير القرآن، أخرج مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمححه»^(١). غير أن هنالك العديد من الأخبار التي تجيز الكتابة، فأخذ بها جمهور السلف والخلف، وعملوا بها، ومنها:

١ ما أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه لما فتح الله على رسوله ﷺ عام فتح مكة خطب في الناس فجاء رجل من أهل اليمن يقال له أبو شاه فقال: يا رسول الله: كتبوا لي، فقال ﷺ: كتبوا لأبي فلان، وأبو فلان هو أبو شاه، وهذا صريح الإباحة من رسول الله ﷺ في الكتابة.

٢ روى أحمد وغيره: عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه كنت أكتب كل شيء أسمع من رسول الله ﷺ أريد حفظه، فنهتني قريش، وقالوا: أكتب كل شيء تسمع من رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضا، فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأوماً بإصبعه إلى فيه، وقال: «أكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق»^(٢).

آراء العلماء في التوفيق بين حديث النهي وأحاديث الإذن:

اختلف العلماء في التوفيق بين حديث النهي وأحاديث الإذن، فقد ذهب من منع الكتابة إلى أن النهي خاص بوقت نزول القرآن خشية التباسه بغيره، والإذن في غير ذلك. ومنهم من قال: إن النهي خاص بكتابة غير القرآن مع القرآن في صحيفة أو رقعة، والإذن في كتابتهما مفترقين.

ومنهم من قال: إن النهي متقدم والإذن متأخر، ناسخ له عند الأمن من الالتباس. وعليه فإن النهي عن الكتابة منسوخ بأحاديث جواز الكتابة، وهذا من منسوخ السنة بالسنة.

١ رواه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرفائق، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم.

٢ رواه أبو داود، كتاب العلم، باب في كتاب العلم، قال الألباني: صحيح.

ورغم هذا الاختلاف في جواز الكتابة وعدمه، إلا أن إجماع الأمة انعقد فيما بعد على الجواز، ولم يبقَ من خلاف حول هذا الموضوع، قال ابن حجر: «ولم يعد من السلف من كان يتحرج من الكتابة، وبذلك ارتفع الخلاف الذي كان بينهم أولاً في كتابة الحديث، واستقر الأمر، وانعقد الإجماع على جواز كتابته، بل على استحبابه، بل على وجوبه على من خشي عليه النسيان ممن يتعين عليه تبليغ العلم».

■ ثالثاً: تدوين الحديث:

على رأس المائة الأولى للهجرة توفرت الدواعي لتدوين الحديث تدوينا رسمياً بتوجيه من السلطة التنفيذية، ممثلة في الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز الذي كان على علم جم، وخشية لله، وحرص صادق على حديث رسول الله ﷺ، فقد خاف من ذهاب العلم بموت العلماء، ورأى في تدوينه ضبطاً له وحفاظاً عليه، فكتب إلى أبي بكر بن حزم واليه على المدينة فقال: انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه، فإني خفت دروس العلم، وذهاب العلماء، ولا تقبل إلا حديث النبي ﷺ ولتُفَسِّحُوا العلم، ولتجلسوا حتى يُعَلِّمَ من لا يَعْلَمُ، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سراً، وقد كتب عمر بن عبد العزيز أيضاً إلى عماله في أمهات المدن الإسلامية بجمع الحديث.

وممن كتب إليهم التابعي، محمد بن مسلم بن شهاب الزهري المدني - (ت: ١٢٤هـ) -، عالم أهل الحجاز والشام، وأحد الأئمة الأعلام الموثقين - فكان أول من دون الحديث بأمر من عمر بن عبد العزيز.

ومن أبرز مراحل التدوين:

■ أ - التدوين في القرنين الثاني والثالث: (من ١٠٠ - ٣٠٠ هـ)

شاع التدوين في الطبقة التي تلي طبقة الزهري، فكان تدوين الحديث في معظم مدن الإسلام يومئذٍ، على يد علماء وأئمة الحديث بمكة، والمدينة، والبصرة، والكوفة، والشام، وواسط، واليمن، والري.

نشاط:

أرجع إلى كتب المصطلح، وأذكر ثلاثة من العلماء الذين دونوا الحديث في هذه الحواضر.

وقد مر التدوين في هذا القرن عبر ثلاث مراحل، بدأت من أواخر القرن الأول الهجري أو أول القرن الثاني، وانتهت في النصف الثاني من القرن الثاني.

الأولى: بدأها أبو بكر بن حزم والي عمر بن عبد العزيز على المدينة وابن شهاب، وقد جمع كل واحد منهما ما عنده من حديث رسول الله ﷺ ولم يلتزما ترتيباً معيناً.

الثانية: جمع الأحاديث الواردة في باب واحد، وقد برز الشعبي في التصنيف في هذا النوع، فإنه روي عنه أنه قال: هذا باب من الطلاق جسيم، وساق فيه أحاديث.

الثالثة: وفيها جمعت أحاديث رسول الله ﷺ وفتاوى الصحابة والتابعين، مرتبة على أبواب الفقه، يوضع تحت كل باب ما بلغ مؤلف الكتاب من أحاديث يستدل بها على حكم من أحكام هذا الباب والموطأ نموذج لذلك.

وتلا هؤلاء كثير من أهل عصرهم، وكانت كل تأليفهم عبارة عن جمع ما وصلهم من حديث رسول الله ﷺ ممزوجة بأقوال الصحابة والتابعين.

وما زال الأمر كذلك حتى رأى بعض العلماء أن يفرد حديث رسول الله ﷺ بالتأليف على نهج آخر، فبدأ التصنيف على المسانيد في القرن الثالث.

• كمسند أبي داود الطيالسي (ت: ٢٠٤ هـ).

• ومسند مسدد بن مسرهد البصري (ت: ٢٢٨ هـ).

ثم اقتفى الحفاظ آثار هؤلاء في القرن الثالث؛ فصنف الإمام أحمد بن حنبل مسنداً، وإسحاق بن راهويه مسنداً، والإمام عثمان بن أبي شيبة مسنداً، وغيرهم، وكانت هذه المسانيد تشتمل على الأحاديث الصحيحة والحسنة والضعيفة.

نشاط:

أوضح المقصود بالمسانيد.

واستمر الأمر على هذه الحال إلى أن جاء الإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦ هـ)، فرأى أن يفرد الحديث الصحيح المحتج به بالتصنيف، فصنف الجامع الصحيح الذي اشتهر بين الناس باسم (صحيح البخاري). واقتفى منهج البخاري، وحذا حذوه في طريقته تلميذه الإمام مسلم بن الحجاج القشيري (ت: ٢٦١ هـ)، واشتهر كتابا البخاري ومسلم بالصحيحين.

ثم تبعهم أصحاب السنن الأربعة: أبو داود (ت: ٢٧٥ هـ)، والترمذي، (ت: ٢٧٩ هـ)، والنسائي (ت: ٣٠٣ هـ)، وابن ماجه (ت: ٢٧٣ هـ) في سننهم.

وقد ظهر غير هؤلاء الأئمة الستة؛ لهذا اعتبر القرن الثالث الهجري أخصب القرون بالنسبة لتدوين السنة وأزهاها.

■ ب - التدوين في القرن الرابع (٣٠٠ - ٤٠٠ هـ)

استدرك علماء القرن الرابع على أهل القرن الثالث ما فاتهم وأكملوا ما أسسوه وبنوه، ولم ينته هذا القرن حتى جمعت الأحاديث كلها ودونت وظهرت كتب ومصنفات في الحديث تعد من أمهات الكتب، ومن أشهرها:

- ١ صحیح الإمام محمد بن اسحاق بن خزيمة (ت: ٣١١ هـ).
- ٢ مصنف الطحاوي الفقيه الحنفي المحدث (ت: ٣٢١ هـ).
- ٣ صحیح أبي حاتم محمد بن حبان البستي (ت: ٣٥٤ هـ).
- ٤ المعاجم الثلاثة، الكبير، والأوسط، والصغير، للإمام سليمان بن أحمد الطبراني المتوفى سنة (٣٦٠ هـ).
- ٥ سنن الإمام الدارقطني (ت: ٣٨٥ هـ).
- ٦ مستدرك الإمام أبي عبد الله الحاكم (ت: ٤٠٥ هـ).

١ أضع دائرة حول رمز الإجابة الصحيحة فيما يأتي :

أ أول من دون الحديث :

١ البخاري .

٢ مسلم .

٣ الإمام أحمد .

٤ الزهري .

ب أول من دون الصحيح :

١ الإمام مالك .

٢ البخاري .

٣ أبو داود .

٤ الحاكم النيسابوري .

ج أول من أمر بتدوين الحديث :

١ الخليفة عمر بن الخطاب .

٢ الخليفة عثمان بن عفان .

٣ الخليفة عمر بن عبدالعزيز الأموي .

٤ الخليفة علي بن أبي طالب .

٢ أذكر أربع صحف كتبت في عهد الرسول ﷺ .

٣ أذكر مصنفاً لكل مما يأتي :

أ المسانيد .

ب السنن .

ج المعاجم .

د الصحاح .

هـ المستدركات .

٤ أعلل : أمر عمر بن عبد العزيز بتدوين الحديث الشريف .

٥ ناقش آراء العلماء في التوفيق بين حديث النهي عن كتابة الحديث وأحاديث الإذن بالكتابة .

كثرت الكتب التي جمعت أحاديث النبي ﷺ، فمنها ما جمع الحديث الصحيح دون غيره، ومنها ما جمع بين الصحيح وغيره، وقد اخترنا في هذا الدرس مجموعة من المصنفات أطلق عليها اسم الكتب الستة، وهي أهم ما صنف في الحديث النبوي الشريف.

■ صحيح البخاري:

هذا ما عُرف به الكتاب واشتهر بين الناس، أما اسمه الذي وضعه مصنفه فهو (الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه).

■ مؤلفه: هو الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، ولد في إحدى قرى بخارى سنة (١٩٤ هـ) وتوفي سنة (٢٥٦ هـ)، طلب العلم صغيراً ورحل مع أمه إلى الحجاز حاجاً، وأقام في المدينة يطلب العلم على شيوخها، ثم رحل إلى أكثر من قطر يطلب العلم. كان ذكياً حافظاً، حفظ مئة ألف حديث صحيح، ومئتي ألف حديث غير صحيح، ولقب بأمرير المؤمنين في الحديث.

■ وصف الكتاب ومنهجه: رتب البخاري كتابه على طريقة الموضوعات، فقسمه إلى كتب، وقسم الكتب إلى أبواب، ووضع تحت الباب بعضاً من الأحاديث المتعلقة به.

- التزم البخاري في كتابه بأعلى شروط الصحة، فكانت أحاديثه من أعلى درجات الحديث الصحيح، فيكفي أن تقول في الحديث (رواه البخاري)؛ ليكون مقبولاً عند الأمة، ولا حاجة للبحث والتمحيص بعد ذلك.
- لم يُخرج البخاري كل الأحاديث الصحيحة، بل ترك منها الكثير، وهذا يظهر من اسم كتابه (الجامع الصحيح المختصر . . .) فهو كتاب مختصر لم يستوعب كل الأحاديث الصحيحة.
- عدد ما في صحيح البخاري من الأحاديث المسندة بالمكرر (٧٣٩٧) حديثاً وبغير المكرر (٢٦٠٢) حديثاً، حيث كان البخاري يكرر الحديث في أكثر من باب.
- اهتم البخاري بفقهاء الحديث وأبرزه في تراجم الأبواب.

- مكاتنه : اتفق جمهور العلماء على أن صحيح البخاري هو أصح الكتب بعد القرآن الكريم ، جمع كتابه في ست عشرة سنة ، وما كان يقيد فيه حديثاً إلا بعد أن يغتسل ويصلي ركعتين ، ويستخير الله في وضع ذلك الحديث .
وقد سمع كتاب البخاري تسعون ألف رجل من أهل عصره .

■ صحيح مسلم (الجامع الصحيح):

- مؤلفه : الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد القشيري النيسابوري ، ولد بنيسابور سنة (٢٠٦ هـ) وتوفي بها سنة (٢٦١ هـ) ، وطلب العلم على شيوخ بلده ، ثم رحل في طلب العلم إلى بغداد والكوفة والشام ومصر وغيرها . ولازم الإمام البخاري طويلاً حتى قال الإمام الدارقطني : «لولا البخاري ما راح مسلم ولا جاء» ، وله نحو عشرين مصنفاً أشهرها كتابه هذا المسمى (بالجامع الصحيح) .
- وصف الكتاب : يأتي صحيح مسلم في المرتبة الثانية بعد صحيح البخاري ، من حيث الصحة والقوة والاعتبار ، فقد جمع الإمام مسلم أحاديث كتابه من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة ، ورتبه على الموضوعات ، واستغرق تصنيفه خمس عشرة سنة .

مقارنة بين الصحيحين:

- ذهب العلماء إلى أن صحيح البخاري مقدمٌ على صحيح مسلم في القوة والصحة وشرط الرجال ، غير أن صحيح مسلم أكثر ترتيباً وتنظيماً وسهولة في العرض .
- فقد كان الإمام مسلم يجمع طرق الحديث وأسانيده في موضع واحد ، ما يسهل على طالب العلم النظر في هذه الطرق والأسانيد والمقارنة بينها ، بينما كان البخاري يفرق الحديث في أبواب متعددة ، ما يصعب على طالب العلم الرجوع إليها في مواضعها المختلفة .
- وهذا يدل على تركيز الإمام مسلم في إبراز الفوائد الإسنادية بخلاف البخاري الذي كان يعمد إلى إبراز الصنعة الفقهية وإن كان لا يخلو من الفوائد الإسنادية .

نشاط:

أرجع إلى بعض كتب المصطلح ، وأبين الشروط التي التزم بها الإمامان البخاري ومسلم في صحيهيهما .

■ سنن أبي داود:

- مؤلفه: أبو داود سليمان بن الأشعث بن عمرو الأزدي السجستاني، ولد سنة (٢٠٢ هـ) وتوفي في البصرة سنة (٢٧٥ هـ)، ويعتبر أحد حفاظ الإسلام في الحديث وعلمه وعلمه، طلب العلم صغيراً ورحل في طلبه إلى الحجاز والشام ومصر والعراق وغيرها.
- له عدة مصنفات أشهرها كتاب السنن.
- ومن أشهر ما قيل فيه: (أَلَيْنَ لِأَبِي دَاوُدَ الْحَدِيثِ كَمَا أَلَيْنَ لِدَاوُدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْحَدِيدِ).
- وصف الكتاب: كتاب السنن لأبي داود هو أحد الكتب الستة، وهو مصطلح أطلق على المصنفات الآتية (البخاري ومسلم، وسنن أبي داود، وسنن الترمذي، وسنن النسائي، وسنن ابن ماجه)، وقد صنّفه أبو داود على أبواب الفقه، واقتصر فيه على أحاديث الأحكام.
- قال أبو داود: «كتبت عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خمسمائة ألف حديث، انتخبت منها ما ضمته هذا الكتاب - أي السنن - جمعت فيه أربعة آلاف حديث وستمائة حديث، ذكرت الصحيح وما يشبهه وما يقاربه، وما كان فيه وهن شديد بينته، وما لم أذكر فيه شيئاً فهو صالح، وبعضها أصح من بعض».
- مكانته: سنن أبي داود في مقدمة السنن الأربعة، ويولي الصحيحين في منزلته عند كثير من العلماء، والذي يظهر من كلام أبي داود السابق أن كتابه لم يقتصر على الحديث الصحيح كما فعل الشيخان، ولكنه ذكر الصحيح وغيره.

■ سنن الترمذي (جامع الترمذي):

- مؤلفه: الإمام الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، ولد سنة (٢٠٠ هـ)، وتوفي سنة (٢٧٩ هـ)، طلب العلم صغيراً، ورحل في طلبه إلى العراق والحجاز وخراسان وغيرها، ولقي كثيراً من أئمة عصره؛ كالبخاري ومسلم وغيرهما.
- وصف الكتاب: أطلق على الكتاب (الجامع الصحيح)، وقد اشتهر بين الناس بسنن الترمذي، وهو أحد أهم الكتب الستة المشهورة، كما أنه كتاب جامع، لم يقتصر فيه على أحاديث الأحكام، بل ذكر فيه أحاديث التفسير والأدب والزهد والسيرة.
- مكانته: الإمام الترمذي أصل في الحديث الحسن، وقد كان المنهج قبل الإمام الترمذي يقوم على تقسيم الحديث إلى صحيح وضعيف، فلاحظ الإمام الترمذي أن بين الصحيح وبين الضعيف مرتبة يمكن التعويل عليها وهي مرتبة الحديث الحسن، ولذلك نجد هذا المصطلح يملأ كتاب السنن.

■ سنن النسائي:

- مؤلفه: الإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، ولد سنة (٢١٥) هـ وتوفي سنة (٣٠٣) هـ، وسمي النسائي بهذا الاسم نسبة إلى نسا بلده بخراسان. طلب العلم في صغره، وارتحل في طلب العلم إلى خراسان والحجاز والعراق والشام وأقام بمصر وطالت إقامته فيها، روى عن المحدثين الكبار، وشارك البخاري ومسلماً وأبا داود والترمذي في عدد كبير من الشيوخ، ونظراً لأنه عمّر بعد البخاري ومسلم فقد أصبح فارس الميدان في علم الحديث والعلل والرجال.
- وصف الكتاب: اشتهر كتاب الإمام النسائي بين الناس بكتاب السنن، وقد عُرف بين العلماء بـ (المجتبى)؛ لأنه اجتبه واختاره من مصنف آخر يُدعى بـ (السنن الكبرى)، واقتصر الإمام النسائي في كتابه على أحاديث الأحكام وهو يشبه بذلك سنن أبي داود.

■ سنن ابن ماجه:

- مؤلفه: الإمام أبو عبدالله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، ولد سنة (٢٠٩) هـ وتوفي سنة (٢٧٣) هـ ارتحل إلى العراق ومكة والشام ومصر.
- وصف الكتاب: لم يقتصر فيه على الأحكام، بل أضاف إليها أحاديث الأدب والزهد والفتن، وغيرها، فبلغ مجموع أحاديثه (٤٣٩٧) حديثاً موزعةً على اثنين وثلاثين كتاباً، وكان الكتاب جامعاً في أبوابه مستوعباً في موضوعاته، إلا أنه أخذ عليه أنه أورد الكثير من الأحاديث الضعيفة بل والموضوعة أحياناً وإن كانت قليلة.
- قال الإمام ابن حجر -رحمه الله-: «كتاب في السنن جامع جيد، كثير الأبواب والغرائب، وفيه أحاديث ضعيفة جداً».

- ١ أضع إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (X) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :
- أ () ورود الحديث عند أبي داود دليل على صحته .
- ب () الإمام مسلم أكثر اهتماماً بالصنعة الإسنادية من الإمام البخاري .
- ج () الإمام الترمذي من شيوخ البخاري .
- ٢ أوضح المصطلحات الآتية :
- الكتب الستة . ■ تراجم الأبواب . ■ كتاب مرتب حسب الموضوعات .
- ٣ أفرق بين الصحيحين من حيث طريقة كل منهما في إيراد الأحاديث
- ٤ أبين علاقة الإمام الترمذي بالحديث الحسن .
- ٥ أعلل : تسمية سنن النسائي بالمجتبى .

الحديث الشريف نوعان: قدسي ونبوي .

■ الحديث القدسي:

هو ما أضيف إلى رسول الله ﷺ وأسنده إلى ربه، عز وجل .
ويطلق بعض العلماء على الأحاديث القدسية اسم «الأحاديث الإلهية»، و«الأحاديث الربانية» .
والقدسي: نسبة إلى القدس، وهو الطهر والتنزيه وهي نسبة تكريم وإجلال، لإضافتها إلى الله تعالى .
ولروايته صيغتان:

الأولى: أن يقول الراوي: قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل .
والثانية: أن يقول الراوي: قال رسول الله ﷺ قال الله تعالى، أو يقول الله تعالى .

الفرق بين الحديث القدسي والحديث النبوي:

■ أولاً: من حيث الإضافة:

الأحاديث القدسية يضاف القول فيها إلى الله تعالى، بعبارة: قال رسول الله ﷺ (فيما يرويه عن ربه)
أو (قال الله تعالى) أو (يقول الله تعالى)، وأما الأحاديث النبوية فيضاف القول فيها إلى الرسول ﷺ،
فيقول فيها الراوي: قال رسول الله ﷺ .

■ ثانياً: من حيث المعنى واللفظ:

في الأحاديث القدسية المعنى من عند الله، واللفظ من عند الرسول ﷺ وأما الأحاديث النبوية فاللفظ
والمعنى من عند رسول الله ﷺ وهو في جملته وحي من الله تعالى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا
وَحْيٌ يُوحَىٰ ۗ ﴾ النجم ٣-٤؛ لأن كل ما يقوله الرسول ﷺ أو يفعله هو تحت رقابة الوحي، فلو كان في ذلك خطأ
يحتاج إلى تصحيح أو تصويب، فإن الوحي ينزل مصححاً ومصوباً .

■ ثالثاً: الفرق من حيث الموضوع:

الأحاديث القدسية تدور معانيها حول تقديس الله وتنزيهه عن النقائص ، وقلما تجد فيها لوناً من ألوان الأحكام، وإنما الملاحظ أنها تؤدي نوعاً من التوجيه الرباني العظيم مما يتعلق بصحة العقيدة، وكمال قدرة الله وعظمته، وسعة رحمته، وسلامة السلوك، وصحة العمل الذي ينسجم مع تلك العقيدة، بينما الأحاديث النبوية تتناول الأحكام والآداب والمواظ، وغير ذلك، فموضوعاتها أعم من موضوعات الأحاديث القدسية .

■ أمثلة الحديث القدسي:

- ١ أخرج الترمذي في سننه: عن أنس رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: يا بن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ما كان منك ولا أبالي».
- ٢ أخرج البخاري في صحيحه: عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه، قال: «إذا تقرب العبد إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإذا تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً، وإذا أتاني يمشي أتيتته هرولة».

■ الحديث النبوي:

يقسم الحديث النبوي إلى ثلاثة أنواع: من حيث عدد رواته، ومن حيث من أضيف إليه، ومن حيث القبول والرد. وتفصيل ذلك فيما يأتي:

■ أولاً: تقسيم الأحاديث من حيث عدد رواتها:

قسّم جمهور العلماء الأحاديث النبوية إلى:

■ متواتر. ■ آحاد.

١ الحديث المتواتر:

التواتر لغة: التتابع.

واصطلاحاً: ما رواه جمع عن جمع، يستحيل عادة تواطؤهم على الكذب من أول السند إلى آخره.

ومثاله: حديث: «من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» رواه بضعة وسبعون صحابياً.

■ حكم الحديث المتواتر:

يفيد العلم الضروري؛ أي (اليقيني) لسامعه ويجب العمل به، لأنه مقطوع بصحته، فيكفر منكره.

■ أتعلم:

الحديث المشهور: وهو له ثلاثة طرق فأكثر، ولم يبلغ حد التواتر. وهو عند علماء الحديث داخل في الآحاد، لكن الأحناف يجعلونه قسماً ثالثاً.

٢ حديث الآحاد:

الآحاد لغة: جمع أحد بمعنى الواحد.

واصطلاحاً: ما رواه واحد، أو اثنان، أو أكثر ما لم يبلغ حد التواتر.

مثاله: ما رواه أبو هريرة مرفوعاً عن النبي ﷺ قال: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة» فقد

رواه سبعة عن أبي هريرة ولم يبلغ حد التواتر.

■ حكمه:

يفيد العلم النظري؛ أي (العلم المتوقف على البحث والاجتهاد)؛ ولهذا فهو ظني الثبوت بحيث لا يفيد العلم اليقيني، ويجب العمل به، ومنكره فاسق؛ وذلك إذا توفرت فيه شروط الصحة التي سيأتي بيانها.

■ ثانياً: تقسيم الحديث من حيث من أضيف إليه:

قسم العلماء الحديث النبوي من حيث من أضيف إليه ثلاثة أقسام:

١ المرفوع: وهو ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل، أو تقرير، أو صفة خلقية أو خلقية، وسمي بذلك لارتفاع رتبته بإضافته إلى النبي ﷺ.

٢ الموقوف: هو ما أضيف إلى الصحابي (رضي الله عنه)، من قول أو فعل.

■ حكمه: لا يُحتج بالموقوف في شيء من الأحكام الشرعية إلا إذا حُفَّ بقرائن تدل على رفعه، فله حينئذ حكم المرفوع.

٣ المقطوع: هو ما أضيف إلى التابعي من قول أو فعل.

■ حكمه: لا يُحتج بالمقطوع في شيء من الأحكام الشرعية، فإن كانت هنالك قرينة تدل على رفعه، كقول بعض الرواة - عند ذكر التابعي - يرفعه مثلاً، فيعتبر عندئذ له حكم المرفوع المرسل.

نشاط:

أرجع إلى مصنف ابن أبي شيبة، وأستخرج ثلاثة أحاديث مقطوعة.

١ أعرف المصطلحات الآتية :

- الحديث القدسي .
- الحديث المتواتر .
- حديث الآحاد .
- الحديث المقطوع .

٢ أوازن بين الحديث القدسي والحديث النبوي من حيث :

أ الإضافة .

ب الموضوعات التي يتناولها كل نوع .؟

٣ أضع دائرة حول رمز الأجابة الصحيحة فيما يأتي :

أ تدور الأحاديث القدسية حول :

- ١ تقديس الله وتنزيهه عن النقائص .
- ٢ معرفة أحكام الحلال والحرام .
- ٣ معالجة واقعة معينة .
- ٤ أخبار الأمم الماضية .

ب إحدى العبارات الآتية لا تصلح للمتواتر :

- ١ تتوفر الكثرة من بداية السند إلى آخره .
- ٢ يحتاج إلى البحث والاجتهاد لإثباته .
- ٣ يفيد العلم الضروري لسامعه .
- ٤ يستحيل في العادة تواطؤهم على الكذب .

ج المتواتر والآحاد يجتمعان في :

- ١ حاجتهما إلى البحث والاجتهاد .
- ٢ قبولهما في الأحكام الشرعية .
- ٣ كفر منكرهما .
- ٤ فسق منكرهما .

د الحديث المرفوع:

- ١ تلازمه الصحة .
- ٢ يلازمه الاتصال .
- ٣ ينتهي إلى النبي ﷺ .
- ٤ ينتهي إلى الصحابي .

ه يتفق الموقوف والمقطوع في:

- ١ عدم العمل بهما .
- ٢ أنهما يضافان إلى الصحابي ﷺ .
- ٣ يعمل بهما في الأحكام (الحلال والحرام) .
- ٤ أن السقط فيهما من السند اثنان فأكثر على التوالي .

٤ أفرق بين الحديث المرفوع والموقوف؟

تكلّمنا في الدرس السابق عن الحديث القدسي، وعن تقسيم الحديث من حيث عدد رواته ومن حيث من أضيف إليه.

والآن نتحدث عن تقسيم الأحاديث من حيث القبول والرد:

يقسم الحديث من حيث القبول والرد إلى:

■ صحيح. ■ حسن. ■ ضعيف.

■ ١- الصحيح: ما اتصل سنده بنقل عدل تام الضبط عن مثله من غير شذوذ ولا علة.

ونستخلص من خلال التعريف شروط الحديث الصحيح، وهي:

- ١ اتصال السند: بأن يكون كل راوٍ قد سمع ما رواه من شيخه مباشرة إلى آخر السند.
 - ٢ العدالة: ملكة تحمل صاحبها على ملازمة التقوى والورع والمروءة والصدق.
 - ٣ الضبط: والضبط نوعان:
 - أ ضبط صدر: أن يحفظ ما سمعه من شيخه إلى أن يؤديه ويرويه.
 - ب ضبط كتاب: أن يحافظ على كتابه ويصونه من أن يتطرق إليه تغيير ما، من حين سماعه وتصحيحه إلى أن يؤدي منه، ويروي.
 - ٤ عدم الشذوذ: عدم مخالفة الثقة من هو أوثق منه.
 - ٥ عدم العلة: السلامة من العلة التي تقدح في صحة الحديث.
- حكم الصحيح: يجب العمل به بإجماع العلماء.

■ ٢- الحسن: هو ما اتصل سنده بنقل عدل خفّ ضبطه عن مثله، من غير شذوذ، ولا علة.

وهو ما يطلق عليه الحسن لذاته.

■ حكم الحسن: كالصحيح في الاحتجاج وإن كان دونه.

وهناك نوع آخر من الحسن يُدعى بالحسن لغيره: وهو الضعيف إذا تعددت طرقه، ولم يكن سبب ضعفه فسق الراوي، أو كذبه.

و الحديث الحسن لذاته والحسن لغيره كالصحيح في الاحتجاج، وإن كانا دونه.

أذكر شروط الحديث الصحيح و الحديث الحسن مبيناً الفرق بينهما .

■ ٣- الحديث الضعيف:

اصطلاحاً: هو ما لم يجمع صفة الحسن بفقد شرط من شروطه .
ويختلف الضعف في الحديث بحسب شدة ضعف روايته ، أو خفته فممنه الضعف الذي ينجبر وهو الذي قلنا فيه : إذا تعددت طرقه يرتقي إلى الحسن لغيره ، ومنه الضعف الذي لا ينجبر .

■ حكم الحديث الضعيف:

الحديث الذي لا ينجبر ضعفه لا يعمل به ، ولا تجوز روايته إلا مقترباً ببيان ضعفه ، أو أنه لا أصل له ، ومن روى شيئاً من ذلك من غير بيان وهو يعلم فهو آثم أشد الإثم .
أما الضعيف الذي لم يصل إلى حد السقوط والوضع ، وهو الضعيف القريب المحتمل الذي ينجبر فقد اختلف العلماء في العمل به على مذاهب :

- المذهب الأول : لا يعمل به مطلقاً لا في الأحكام ولا في الفضائل . ودليلهم أن الحجة في الدين بعد القرآن الكريم هو الحديث الذي يثبت ، أو يغلب على الظن ثبوته ، والحديث الضعيف ليس كذلك فالأخذ به زيادة في الدين بغير بينة .
- المذهب الثاني : يعمل به مطلقاً إذا لم يرد في الباب غيره .
- المذهب الثالث : يعمل بالضعيف في فضائل الأعمال ، و المواعظ والقصص والترغيب والترهيب ، وهو المعتمد .

■ ٤- الحديث المرسل:

هو أحد أنواع الحديث الضعيف عند علماء الحديث ، وأردنا أن نعرف الدارس به لأهميته .

تعريفه:

- لغة : من أرسل بمعنى أطلق ، فكأن المرسل أطلق الإسناد ، ولم يقيده براو معروف .
- اصطلاحاً : الحديث الذي رفعه التابعي إلى النبي ﷺ من غير ذكر الصحابي .
- مثاله : ما أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب البيوع ، قال : حدثني محمد بن رافع ، ثنا حُجَين بن المثنى ، ثنا الليث ، عن عقيل ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب : « أن رسول الله ﷺ ، نهى عن المزبنة والمحاقلة» ، والمزبنة : أن يباع ثمر النخل بالتمر ، والمحاقلة : أن يباع الزرع بالقمح ، واستكراء الأرض بالقمح .

فسعيد بن المسيب تابعي كبير، روى هذا الحديث عن النبي ﷺ دون أن يذكر الوساطة بينه وبين الرسول ﷺ، فقد أسقط من إسناد هذا الحديث آخره من بعد التابعي وهو الصحابي .

نشاط:

أرجع إلى كتب السنة، وأستخرج مرسلًا لابن عباس وآخر لابن الزبير .

■ حكم المرسل عند المحدثين:

الحديث المرسل من قبيل الحديث الضعيف للجهل بحال المحذوف؛ لأنه من غير المتيقن أن يكون التابعي رواه عن الصحابي، بل يجوز أن يكون قد رواه عن تابعي .
إلا أن الإمام مالك وأبا حنيفة وأصحابهما قد احتجوا بالمرسل مطلقاً .

■ ٥- مرسل الصحابي:

هو ما أخبر به الصحابي من قول الرسول ﷺ أو فعله ولم يسمعه، أو لم يشاهده، إما لصغر سنه، أو تأخر إسلامه، أو غيابه . ومن هذا النوع أحاديث كثيرة لصغار الصحابة كعائشة أم المؤمنين ﷺ وابن عباس، وابن الزبير .

■ مثاله: حديث بدء الوحي الذي روته عائشة ﷺ ولم تكن قد ولدت عند بدء الوحي، فقد تكون سمعته من النبي ﷺ الذي أخبرها به بعد، وقد تكون سمعته من صحابي آخر أدرك هذه الحادثة، ففي هذه الحالة يكون الحديث مرسل صحابي بفقدان حلقة من حلقاته .

■ حكم مرسل الصحابي: الصحيح المشهور الذي قطع به الجمهور أنه صحيح؛ لأن الصحابة كلهم عدول، محتج بهم، لأن رواية الصحابي عن التابعي نادرة .

التقويم

- ١ أعرف: ■ الحديث الضعيف . ■ المرسل . ■ الحسن لغيره . ■ الشاذ .
- ٢ ما حكم الحديث: ■ الحسن . ■ الصحيح . ■ المرسل؟
- ٣ أبن أقسام الحديث الضعيف؟
- ٤ أوضح مذاهب العلماء في الحكم على الحديث الضعيف؟
- ٥ أذكر آراء العلماء في العمل بالحديث الضعيف .
- ٦ أعلل: يعتبر الحديث المرسل من الأحاديث الضعيفة .

يعتبر هذا العلم من أهم أنواع علوم الحديث ، إذ به يمكن الكشف عن أحوال رواة الحديث ، ويتكون هذا العلم من شقين :

الأول : الجرح ، والثاني : التعديل ، فما المقصود بكل منهما؟
الجرح لغة : أثر السلاح في الجلد .

واصطلاحاً : ما يقال في الراوي من العيوب التي تسقط عدالته كلياً أو جزئياً ، سواء أكانت في الدين والأمانة أم في الحفظ والضبط والإتقان .

أما التعديل ففي اللغة : التزكية .

وفي الاصطلاح : وصف الراوي بما يزيه في دينه وأمانته وتقواه ، وفي ضبطه وإتقانه .
والعدالة تتفاوت في درجاتها ، فقد يعلو شأنها في الراوي حتى يكون أوثق الناس ، وقد تنزل به إلى أدنى درجاتها .

■ علم الجرح والتعديل : العلم الذي يعرف به حال الرواة من حيث القبول أو الرد .

والأصل في كل مسلم أنه عدل لكن إذا شهد في الخصومات أو روى الأحاديث النبوية فإنه يخضع للتمحيص والبحث عن حاله لما يترتب على شهادته وروايته من أحكام فتقبل رواية الراوي وشهادة الشاهد بعد التحقق من عدالتهما .

تجريح الرواة ليس من الغيبة المحرمة:

إن ذكر عيوب الشهود و الرواة والقدح في أشخاصهم ورواياتهم وجرحهم لا يعتبر غيبة محرمة ؛ لأنها مما تمليه الضرورة صيانة لحديث رسول الله ﷺ من افتراء الكاذبين وكذلك لصيانته من عوامل الغفلة والنسيان وعدم الإتقان ، وبذلك يكون الجرح أداء واجباً لا يستقيم الدين إلا به ، والدليل على ذلك : **قول الله تعالى** : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾ **الحجرات (٦)** ، وأولى ما يجب فيه التثبت حديث رسول الله ﷺ ؛ حتى ننفي عنه ما ليس منه .

■ أهمية علم الجرح والتعديل:

تبرز أهمية علم الجرح والتعديل في كونه يحفظ حديث النبي ﷺ من أن يختلط به ما ليس منه، وذلك بدراسة أحوال الرواة الذين نقلوه، فنميز بين العدل الذي نطمئن للأخذ عنه والمجروح الذي نرد حديثه .
يشترط في الراوي حتى تقبل روايته شرطان مهمان هما: العدالة والضبط .
فالعدالة في اللغة: الاستقامة، وفي الاصطلاح: صفة تحمل صاحبها على ملازمة التقوى والورع والبعد عن المعاصي، فلا يرتكب الكبائر ولا يصير على الصغائر .

■ مقومات العدالة:

أن يكون الراوي مسلماً، بالغاً، عاقلاً، سالماً من أسباب الفسق، وخوارم المروءة، وهي شروط ضرورية لقبول الرواية، فغير المسلم لا تقبل روايته؛ لأنه غير مؤتمن على رواية الحديث، والصغير ليس مؤهلاً للرواية، وغير العاقل لا يعتد بقوله في الحديث العام فكيف بحديث رسول الله ﷺ؟، ومن سلم من أسباب الفسق لا يقع في الكبائر ولا يصير على الصغائر، ومن سلم من خوارم المروءة يتجنب ما يعد منافياً للأخلاق والآداب في العرف العام، كالأكل والنوم في الطريق، وكثرة الضحك والمزاح .

■ بم تثبت العدالة؟

تثبت العدالة بتزكية النقاد (علماء الجرح والتعديل)، كما تثبت بالشهرة والاستفاضة؛ كثبوت عدالة الأئمة الأربعة مثلاً .
ولا بد من الإشارة إلى أن تعديل الرواة يقبل دون ذكر سببه فلا يحتاج إلى تفسير، فلا نقول فلان ثقة، لأنه يصلي ويصوم ويحج؛ فتعداد أسباب التعديل يطول، حيث إن الأمور التي تزكي الراوي كثيرة؛ كأدائه الصلاة وصيامه رمضان وورعه، وهذه لا مجال لتعدادها لكثرتها. بخلاف الجرح فإنه لا يُقبل إلا بذكر سببه؛ وذكر سبب واحد في الراوي يكفي لتضعيفه، ولاختلاف العلماء في أسباب الجرح، فما يجرح راوٍ عند عالم قد لا يكون جارحاً له عند غيره .

تعارض الجرح والتعديل في راوٍ واحد:

إذا اجتمع الجرح والتعديل في راوٍ واحد يقدم الجرح إذا كان مفسراً؛ لأن عند الجارح زيادة علم أدت إلى جرح الراوي .

- ١ أعرّف المصطلحات الآتية: العدالة، الضبط، خوارج المروءة.
- ٢ أضع إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (X) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:
 - أ () تجريح الرواة يدخل في الغيبة المحرمة.
 - ب () تعديل الرواة يحتاج لذكر السبب.
 - ج () يشترط في ضبط الكتاب أن يكون الراوي حافظاً لكتابه.
- ٣ بم تثبت عدالة الرواة؟
- ٤ الضبط نوعان، أوضعهما.
- ٥ أفرق بين الجرح و التعديل من خلال مفهومهما.
- ٦ أعلل ما يأتي:
 - أ خضوع الراوي للجرح والتعديل إذا روى الأحاديث.
 - ب لا يقبل جرح الراوي إلا بذكر السبب.
 - ج يقدم الجرح على التعديل في حال تعارضهما.

يتفاوت الرواة في درجات ضبطهم وعدالتهم، فمنهم المتقن في أعلى درجات الإتيان، والمتقدم في عدالته وديانته. وكذلك الرواة المجروحون منهم من يخطئ خطأ يسيراً، ومنهم سيئ الحفظ، ومنهم الكذاب، وهذا ما استدعى التفريق بين مستويات الرواة من خلال مراتب معلومة بين العلماء.

■ مراتب الجرح والتعديل:

وضع العلماء سلماً متدرجاً للجرح والتعديل؛ وذلك لأن رواه الحديث ليسوا سواءً في درجة ضبطهم وعدالتهم، فمنهم الجهابذة المتقنون، ومنهم الضعفاء، ومنهم الوضاعون، ومنهم ما بين ذلك، فكان من العدل والدقة أن يوضع سلم يشتمل على مراتب متفاوتة تصنف الرواه كلاً حسب درجة ضبطه وعدالته، وتعطيه وصفاً يتناسب مع هذه المرتبة، ويمكن ايجاز المراتب بما يأتي:

- ١ الوصف بما دل على المبالغة؛ كأوثق الناس، إليه المنتهى في التثبت، فلان لا يُسأل عنه، وما شابهها من ألفاظ.
- ٢ تكرار صفة التوثيق، مثل: ثقة ثقة، ثقة حافظ.
- ٣ ما انفرد فيه لفظ التوثيق، مثل: ثقة، حجة، حافظ.
- ٤ من قيل في حقه: ليس به بأس، أو لا بأس به، أو صدوق.
- ٥ قولهم في الراوي: محلة الصدق، شيخ صالح الحديث.
- ٦ ما أشعر بالقرب من التجريح، وهو أدنى المراتب، كقولهم: ليس يبعيد عن الصواب، -شيخ- يروى حديثه.

- وحكم هذه المراتب أنه يُحتج بالأربعة الأولى منها، أما الخامسة والسادسة فلا يُحتج بأهلها، بل يُكتب حديثهم ويختبر، ويمكن أن يرتقي إذا تأيد بغيره.

■ مراتب التجريح:

- ١ ما دل على المبالغة في التجريح؛ كأكذب الناس، إليه المنتهى في الكذب.
- ٢ ما هو دون ذلك كقولهم: دجال، كذاب، وضاع.
- ٣ قولهم فلان متهم بالكذب، أو الوضع، أو ساقط، أو هالك.

- ٤ قولهم: فلان ردوا حديثه، أو مردود الحديث، أو ضعيف جداً.
- ٥ قولهم: فلان لا يحتج به، أو ضَعَفوه، مضطرب الحديث، منكر الحديث، ضعيف.
- ٦ وهي أسهلها كقولهم: فيه مقال، فيه ضعيف، ليس بذاك، فيه جهالة.
- وحكم هذه المراتب أن الأربيع الأول لا يحتج بواحدٍ من أهلها ولا يُعتبر به. أما الخامسة والسادسة فيخرج أحاديث أصحابها للاعتبار، أي أن الضعف فيها يمكن أن ينجر، فإذا جاء ما يقويه فيمكن أن يرتقي إلى درجة المقبول.

أفكر:

لا يقبل جرح الأقران الا بحجة.

■ المجرح والمعدل:

ينبغي أن تتوفر في العلماء القائمين على تجريح الرواة وتعديلهم التقوى والورع وعدم التعصب، والعلم بأسباب الجرح والتعديل.

أهم المصنفات في الجرح و التعديل:

قام علماء الجرح والتعديل بعمل جبار يقوم على المسح الدقيق لأسماء جميع رواة الحديث والترجمة لهم وبيان ما فيهم من جرح وتعديل، ثم بيان من أخذوا عنه ومن أخذ عنهم، وأين رحلوا ومتى التقوا ببعض الشيوخ، وما إلى ذلك من تحديد زمنهم الذي عاشوا فيه بشكل لم يسبق له مثيل من الدقة، ثم رصدوا ذلك في كتب تخصصت بهذا العلم

واليك -عزيزي الطالب- بعض تلك الكتب:

- ١ كتاب (التاريخ الكبير) للإمام البخاري (ت ٢٥٦ هـ)، وقد صنفه في أسماء الرواة عامة، بحيث يشتمل على الثقة والمتقن والضعيف والمتروك وغيرهم ممن رووا حديث الرسول ﷺ، وقد اشتمل على أربعة عشر ألف ترجمة.
- ٢ كتاب (الجرح و التعديل) لابن أبي حاتم (ت ٣٢٧ هـ)، وهو أيضاً في أسماء الرواة عامة أضاف مصنفه على التاريخ الكبير إضافات قليلة.
- ٣ كتاب (الثقات) لابن حبان (ت ٣٥٤ هـ)، وهو مختص بالثقات من الرواة.
- ٤ كتاب (الكامل في الضعفاء) لابن عدي، وهو مختص بذكر الضعفاء والمختلف فيهم من الرواة.

- ١ أضع إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (X) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :
 - أ () مصطلح (شيخ) في علم الجرح والتعديل يعني (ثقة).
 - ب () كتاب (الكامل في الضعفاء) مختص برواة الحديث عامة.
 - ج () مصنف كتاب (التاريخ الكبير) هو الإمام الذهبي .
- ٢ يشترط فيمن يقوم على الجرح والتعديل شرطان رئيسان، أذكرهما.
- ٣ من أول من تكلم في الجرح والتعديل؟
- ٤ أعرف المصطلحات الآتية: ■ لا بأس به . ■ يكتب حديثه للاعتبار .
- ٥ بم يختلف الراوي الصدوق عن الراوي الثقة؟
- ٦ أعدد أربعة من كتب الجرح والتعديل .

لم يظهر الكذب على النبي ﷺ في عصر النبوة، حيث الصلاح والنقاء والفضيلة السليمة عند العرب، وأول ما ظهر الكذب كان من اليهود والمنافقين في المدينة حيث أسسوا الفرق الكاذبة التي ظهرت بعد مقتل عثمان رضي الله عنه، وحيث إن هؤلاء لم يستطيعوا تحريف القرآن الكريم المحفوظ من الله عز وجل اتجهوا بكيدهم إلى السنة النبوية ليدخلوا فيها ما ليس منها فبدؤوا بدسّ الأحاديث الموضوعة، والتي يسر الله لها من جهازة العلماء من كشفها، وأما عنها اللثام وحصرها في كتب معروفة للناس، فما الحديث الموضوع؟ وما أسباب الوضع؟ وكيف يعرف الحديث الموضوع من غيره؟ هذا ما سنتعرّف عليه في هذا الدرس.

■ تعريف الحديث الموضوع:

- الموضوع لغة: الساقط، المتروك.
- اصطلاحاً: هو الخبر المخلوق المكذوب على رسول الله ﷺ.

■ أسباب الوضع:

أسباب الوضع في الحديث كثيرة، منها:

- ١ الكيد للإسلام والتشكيك فيه، كأن يضيف أحدهم لحديث رسول الله ﷺ عبارة تتضمن هذا التشكيك، مثل حديث رسول الله ﷺ: «أنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي»، فهذا الحديث الصحيح أضافوا إليه عبارة (إلا أن يشاء الله).
- ٢ الانتصار للفرق الضالة، حيث كثرت الفرق بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وحاول كل فريق أن ينصر مذهبه بأحاديث تروج فكره وعقيدته، ومن ذلك الأحاديث التي تؤيد الشيعة والخوارج والمرجئة، أو تشنع عليهم، فوضعوا لهذا الغرض أحاديث كثيرة، مثل: (إن لكل أمة يهوداً ويهود أمتي المرجئة).
- ٣ الترغيب في فضائل الأعمال: وهذا ما قام به بعض الجهلة لترغيب الناس في الفضائل، وترهيبهم من المعاصي والذنوب، وحجتهم في وضع الأحاديث أنهم يكذبون لأجل الرسول ﷺ ولا يكذبون عليه فوضعوا أحاديث، مثل: (من قال لا إله إلا الله خلق الله له من تلك الكلمة طائراً له سبعون ألف لسان، لكل لسان سبعون ألف لغة يستغفرون له).

٤ تحقيق المنافع الشخصية في المال أو المنصب، أو التزلف للحكام، أو الترويج لبعض السلع، مثل قولهم: (الباذنجان لما أكل له)، وقولهم: (لو كان الأرز رجلاً لكان حليماً ما أكله جائع إلا أشبعه).

٥ التعصب للجنس أو المكان؛ كتفضيل الفارسية على العربية و في فضل بعض المدن و البلدان، مثل: (إن الله إذا غضب أنزل الوحي بالعربية فإذا رضي أنزله بالفارسية)، فهذا كلام لا يليق بجلال الله.

٦ قصد الانتقام من بعض الناس، كما وقع من أحدهم حين غضب من معلم ابنه فوضع: (معلمو صبيانكم شراركم).

■ حكم روايته:

لا تحل رواية الحديث الموضوع ولا في أي أمر من أمور الدين، إلا على سبيل البيان و التحذير منه لئلا يغتر به الجهلة و العوام، وذلك لقول الرسول ﷺ: «من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار».^(١)

وقد أجمع أهل الإسلام على تجريم الكذب على آحاد الناس فكيف بالكذب على رسول الله ﷺ؟! .

■ حكم العمل بالحديث الموضوع؟

حرام بالإجماع؛ لأنه ابتداء في الدين؛ قال ﷺ: «وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة»^(٢).

■ جهود العلماء في محاربة الوضع:

لقد بذل العلماء جهوداً عظيمة في محاربة الأحاديث الموضوعية، وتنقية حديث رسول الله ﷺ منها، فقاموا بجمع الأحاديث الثابتة في مصنفات مشهورة، وأفردوا كل ما هو موضوع في كتب خاصة بها، ومن مظاهر ذلك:

١ الاهتمام بالسند والبحث في أحوال الرواة، قال ابن سيرين: (إن العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم)، وقال سفيان الثوري: (لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ)، وقال حفص بن غياث: (إذا اتهمتم الشيخ فحاسبوه بالسنين)؛ أي احسبوا سنَّه و سنَّ من كتب عنه.

١ متفق عليه، وهو حديث متواتر.

٢ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة.

٢ نقد الرواة وتتبع الكذابين ، ومن ذلك قول الحاكم النيسابوري : (لما قدم علينا محمد بن حاتم الكشي ، وحدث عن عبد بن حميد سألته عن مولده ، فذكر أنه ولد سنة ستين ومائة ، فقلت لأصحابنا : سمع هذا الشيخ من عبد بن حميد بعد موته بثلاث عشرة سنة . وكان بعض علماء الجرح والتعديل يقول : (تعالوا حتى نغتاب في الله) .

كيف يُعرف الحديث الموضوع من غيره؟

يعرف الحديث الموضوع إذا اشتمل على أمور ، منها :

- ١ تناقض الحديث الموضوع مع القرآن تناقضاً صريحاً ، مثل قولهم : «لا يدخل الجنة ولد زنا» ، وهذا معارض لقول الله تعالى : «ولا تزر وازرة وزر أخرى» .
- ٢ تناقض النص مع السنة الثابتة ، مثل : «الإيمان لا يزيد ولا ينقص» ، وهذا مناقض لأحاديث كثيرة وردت في أن الإيمان يزيد وينقص .
- ٣ تكذيب بدهيات العقيدة للحديث ، مثل : «المجرة التي في السماء من عرق الأفعى التي تحت العرش» .
- ٤ سماجة (سخف) المعنى ، مثل : «الجوز داء و الجبن داء فإذا صارا في الجوف صارا شفاء» .
- ٥ اشتماله على مبالغات لا يقولها النبي ﷺ ، مثل : «من اتخذ ديكاً أبيض لم يقربه شيطان ولا سحر» .
- ٦ اشتهاار الراوي بوضع الأحاديث ، مثل : عبادة أبو يحيى وعباس البلخي وغيرهم .
- ٧ اعتراف الكذاب نفسه بالوضع ، مثل : ميسرة بن عبد ربه الذي اعترف بأنه وضع الأحاديث المكذوبة في فضائل السور .

■ أشهر كتب الموضوعات:

- ١ الموضوعات لابن الجوزي .
- ٢ اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي .
- ٣ المنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن قيم الجوزية ، وهو كتاب صغير بين فيه إمكانية معرفة الحديث الموضوع من خلال ضوابط تدل على ذلك من غير أن ينظر في سنده .
- ٤ تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة ابن عراق الكناني ، لخص فيه ما سبقه من المؤلفات في الحديث الموضوع .

- ١ أعرّف الحديث الموضوع لغة و اصطلاحاً .
- ٢ أضع إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (X) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :
 - أ () مصنّف كتاب (المنار المنيف) هو ابن قيم الجوزية .
 - ب () سماجة و سحف المعنى دليل واضح على أن الحديث موضوع .
 - ج () من أسباب وضع الأحاديث الترغيب في فضائل الأعمال .
- ٣ أسَمِّي كتابين صُنِّفا في الأحاديث الموضوعة .
- ٤ أعدد أسباب الوضع في الحديث الشريف .
- ٥ أبين جهود العلماء في محاربة الأحاديث الموضوعة .
- ٦ أبين حكم رواية الحديث الموضوع مع الدليل .
- ٧ كيف يُعرّف الحديث الموضوع من غيره؟

الوحدة

٢

الحديث الشريف (حفظ وشرح)

عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «ثلاثة من كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: مَنْ كان الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، ومَنْ أحبَّ عبداً لا يُحِبُّه إلا لله، ومن يكره أن يعودَ في الكفر بعد إذ أنقذه الله، كما يكره أن يُلقى في النار»^(١).

راوي الحديث:

هو أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي، من بني عدي بن النجار، أمه أم سليم بنت ملحان، خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين، قال صلى الله عليه وسلم: قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، وأنا ابن عشر سنين، وتوفي، وأنا ابن عشرين سنة.

وقال صلى الله عليه وسلم: أخذت أم سليم بيدي، فأتت بي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا رسول الله: هذا ابني، وهو غلام كاتب، قال: فخدمته صلى الله عليه وسلم تسع سنين، فما قال لي شيئاً قط صنعته أسأت، أو بئس ما صنعت». دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بكثرة المال والولد، فكان له بستان يحمل الفاكهة في السنة مرتين. وولد له من صلبه ثمانون ذكراً وابتتان، وطال عمره حتى جاوز مئة سنة، وتوفي بالبصرة سنة ثلاث وتسعين، وهو آخر من مات من الصحابة بالبصرة.

■ ثمرات الإيمان:

إنَّ غرس الأشجار والزروع، والعناية بها يحقق قطف الثمار، والانتفاع بها، وكذلك غرس الإيمان في النفوس وتعزيزه وتقويته بالأعمال الصالحة، والبُعد عن المعاصي والموبقات له ثمار عظيمة وكبيرة في الدنيا والآخرة، وعلى رأس هذه الثمار الفوز برضوان الله والجنة، والنجاة من سخط الله والنار.

ومن ثمار الإيمان عزة النفس وسكيتها، وطمأنينة القلب؛ **قال تعالى:** ﴿أَلَا يَذَكِّرُ اللَّهُ تَطْمِينًا الْقُلُوبِ﴾ **الرعد: ٢٨**.

١ رواه البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان، باب من كره أن يعود في الكفر...

وسائل غرس الإيمان وتعزيزه في النفس:

لغرس الإيمان وتعزيزه وتقويته في النفوس وسائل كثيرة وعديدة، من أهمها:

■ أولاً: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما:

إنَّ حبَّ الله ورسوله هو عنوان الإيمان وكمالهِ، وعلامة فارقة للمؤمن عمن سواه. والحب لله إنما يعني أن يتمثل المرء أوامر الله وفرائضه، فيلتزم بها، ويعمل على تطبيقها، ويتجنب ما نهى الله تبارك وتعالى عنه، وأن يرضى بقضاء الله وقدره؛ لأنَّ المرء إذا تأمل أوامر الله ونواهيه، يدرك تماماً أنَّ الله تبارك وتعالى لا يأمر إلا بما فيه مصلحة الإنسان ونفعه وخيره، ولا ينهى إلا عن شيء يضر بالإنسان، ويتعارض مع فطرته السليمة التي فطره الله عليها؛ **قال تعالى:** ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ **الملك: ١٤**، فأوامر الله ونواهيه للعباد، فيها الخير والصالح لعاجله وآجله.

وحبَّ الله تعالى فرض؛ فهو المنعم الحقيقي، والواهب لكل الخيرات التي يتمتع بها الإنسان؛ **قال تعالى:** ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تُمْرًا إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ﴾ **النحل: ٥٣**، ولا مانع ولا مانع في الحقيقة إلا الله تبارك وتعالى، وما عداه من البشر إنما هم وسائل ووسائط؛ **قال تعالى:** ﴿قُلْ إِنَّ أَوْلَىٰ حَقًّا لِلَّهِ﴾ **آل عمران: ١٥٤**.

كما أن حبَّ الرسول ﷺ فرض متعين على كل مسلم، فالرسول ﷺ هو المبلِّغ عن الله، وهو المبيِّن لمراده سبحانه، ومنه نأخذ الشرع الحنيف؛ لذا يتوجب التوجه إليه بالكلية، **قال ﷺ:** «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعين»^(١).

وقد استحقَّ الرسول ﷺ أن يكون حظُّه من المحبة أوفر من غيره من الناس؛ إذ به أخرج الله تعالى الناس من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، ومن متاهات الضلالة إلى نور الهداية؛ وفيما رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لرسول الله ﷺ: «لأنت - يا رسول الله - أحبُّ إليَّ من كلِّ شيءٍ إلا من نفسي». فقال: «لا، والذي نفسي بيده، حتى أكون أحبَّ إليك من نفسك»، فقال له عمر: «فإنه الآن، فإنك - الآن - والله، لأنت أحبُّ إليَّ من نفسي». **فقال النبي ﷺ:** «الآن يا عمر»^(٢).

١ متفق عليه.

٢ أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ.

■ بم تتمثل محبة رسول الله ﷺ؟

تتمثل محبة الرسول الكريم ﷺ في التأسي والافتداء به؛ **قال تعالى:** ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ **الأحزاب: ٢١**، كما تتمثل في طاعته فيما أمر به، واجتناب ما نهى عنه، وحذر منه؛ **قال تعالى:** ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُمِينُ﴾ **التغابن: ١٢**.

ولا تتمثل محبته ﷺ في تعظيمه وحسب، بل وفي الانتصار له، والدفاع عنه، وذبّ الشبهات عن شخصه وسيرته العطرة، والدفاع عن سنته، والنهي عن البدع، ويقتضي ذلك تقديم رأيه على أي رأي، وسنته على أية قناعة أو هوى.

■ ماهية حب الله تعالى ورسوله ﷺ:

حينما نتحدث عن حبّ الله ورسوله، فإنما نعني به حينئذ:

• الأول: الوجدانيّ، أو العاطفيّ؛ أي تعلق القلب بهما، تقديراً وإجلالاً وتكريماً، وتقديم حبهما على أيّ حبّ.

• الثاني: العقليّ، ويقصد به: إثارهما، وتقديم أمرهما على أيّ أمر، وإن كان على خلاف هوى النفس وما يحب الإنسان ويرغب؛ كالمريض يعاف الدواء بطبعه فينفر منه، ويميل إليه بمقتضى عقله، فيهوى تناوله.

وبذلك يتلذذ المحب لذّة عقلية، أساسها الإدراك لما هو كمال وخير. وقد عبّر الشارع الحكيم عن هذه الحالة بالحلاوة؛ لأنها أظهرت اللذّة المحسوسة.

■ ثانياً: أن يحب المرء لا يحبه إلا الله:

إنّ الحب في الله من أعظم دلائل الإيمان، وهو من علامات حب المرء لله تعالى، وإثارة أمره على كل أمر، والحب في الله يجعل الروابط بين الناس قائمة على أساس الإيمان والتقوى، ودوامه يرتبط بدوام الإيمان، بخلاف الحب لمصلحة دنيوية فإنه يزول بزوالها؛ **قال تعالى:** ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ **الزخرف: ٦٧**. وبحب الله تعالى ورسوله ﷺ يعظم التعاون بين الناس، وتتوثق الصلات، ويتحقق التكافل الاجتماعيّ، فيعطي غنيهم فقيرهم، ويعين قويهم ضعيفهم، ويتواصل الناس فيما بينهم، ويصفح بعضهم عن بعض، ويعفو محسنهم عن مسيئهم، وبهذا يستقر المجتمع ويقوى ويتطور؛ ولهذا كان المجتمع المدنيّ في عهد الرسول الكريم وصحابته الميامين من أحسن المجتمعات وأفضلها، إذ

تحقق فيه ما لم يتحقق في مجتمع بشريّ من قبل ، ومن ذلك : المؤاخاة التي تمت بين المهاجرين والأنصار ، فكانت أساساً للمحبة ، والتعاون ، والإيثار .

■ ثالثاً: أن يكره العودة إلى الكفر كما يكره أن يُقذف في النار:

إذا كان حب الله تعالى ورسوله ﷺ مقدماً على ما سواههما ، وإذا أحب المسلم المرء في الله وكرهه لله ، يتحقق بذلك الارتياح النفسي ، والهدوء والسكينة والرضا بقضاء الله وقدره ؛ فتسهل على النفس المصائب ، وتعظم عند المؤمن الإرادة والعزيمة ، فلا يصيبه الخور أو اليأس أو القنوط ، وتستوي عنده الرغائب والرغائب ، وتغمر السعادة روحه وفؤاده ، يقول الشاعر :

ولست أرى السعادة جمع مال ولكن التقيّ هو السعيد .

وكان العلامة الفقيه عبد الله بن المبارك -رحمه الله- يقول : نحن في سعادة لو علمها الملوك لقاتلونا عليها .

ومن كانت هذه صفته لا يعرف النكوص عند الشدائد والكروب ، بل يثبت على مبدئه ، وعقيدته الحقة ، حتى تكره نفسه العودة إلى الكفر والشرك ، كما تكره أن تُقذف في النار .

التقويم

- ١ أكتب الحديث النبويّ الشريف : «ثلاثة من كُنَّ فيه الحديث» .
- ٢ بمَ يتمثل حبّ الله ، وحب رسوله؟
- ٣ أيّين ثمار الإيمان .
- ٤ من وسائل غرس الإيمان وتقويته في النفوس : أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما . أوضّح ذلك .
- ٥ أيّين آثار صفة الحبّ في الله على المجتمع المسلم .
- ٦ أفرق بين الحب الوجداني والحب العقلي .

عن الأحنف بن قيس، قال: ذهبت لأنصر هذا الرجل، فلقيني أبو بكر، فقال: أين تريد؟، قلت: أنصر هذا الرجل، قال: ارجع، فإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما؛ فالقاتل والمقتول في النار؟»، قلت: يا رسول الله! هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: «إنه كان حريصاً على قتل صاحبه»^(١).

راوي الحديث:

هو نفي بن الحارث بن كدة الثقفي، أبو بكر، وقيل: هو نفي بن مسروح الثقفي، وهو أخو زياد بن أبيه لأمه، كان ممن نزل يوم الطائف إلى رسول الله ﷺ من حصن الطائف؛ فأسلم، وأعتقه رسول الله ﷺ، وهو معدود في مواليه، وكان يقول: أنا من إخوانكم في الدين، وأنا مولى رسول الله ﷺ. كان من فضلاء الصحابة، كثير العبادة حتى مات. وكان أولاده أشرافاً في البصرة بكثرة المال، والعلم، والولايات. قال الحسن البصري -رحمه الله-: «لم ينزل البصرة من الصحابة ممن سكنها أفضل من عمران بن حصين، وأبي بكر».

■ حرمة قتل النفس والتشديد في دم المسلم:

لقد اعتنى الإسلام بالنفس الإنسانية -بوجه عام- عناية كبيرة، وحافظ عليها، وشدد في النهي عن إزهاق الروح البريئة؛ فقال سبحانه: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ المائدة: ٣٢، كما أمر الإسلام بالمحافظة على النفس المسلمة بوجه خاص محافظة شديدة؛ فقال ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه»^(٢)، ويقول تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ النساء: ٩٣.

١ أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا.

٢ أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله.

■ شرح الحديث:

يأتي هذا الحديث في سياق الأحداث التاريخية التي جرت بين عليّ بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وذلك في الاقتتال الذي حدث بينهما على خلفية استشهاد الصحابي الجليل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، فكان الأحنف بن قيس سيّد بني تميم؛ فأراد أن يقاتل في صفّ الإمام عليّ وإلى جانبه نصره له، فما كان من أبي بكر رضي الله عنه حينما رآه عازماً على ذلك الأمر أن أرشده ونصحه بالألا يذهب، معتبراً أبو بكر أنّ هذه فتنة بين المسلمين، ويجب تجنبها، على اعتبار حرمة الدم المسلم، ولا يجوز أن يقتل المسلمون فيما بينهم. وهو بذلك يريد أن يسدي النصح لهذا التابعي الجليل؛ لأنّه تعلم من رسول الله صلى الله عليه وآله أن الدين النصيحة.

والحديث الشريف يبيّن أنّ المسلميّن إذا اقتتلا، فهما في النار: القاتل والمقتول سواء. وما دار في خلد أبي بكر من تساؤل يدور في خلد كلّ سامع، وذلك باستغراب النتيجة للمقتول؛ فالقاتل في النار؛ لأنّه قد اقترف جريمة قتل، ولكن ما بال المقتول الذي قُتل، ولم يُقتل؟ وفي رد الرسول صلى الله عليه وآله على هذا التساؤل دليل على ضرورة صيانة النفس المؤمنة، وعدم تعريضها للخطر، وبالتالي إزهاقها وقتلها.

■ توجيه الحديث:

من يطالع الحديث الشريف لا بد أن يتساءل: كيف نفرّ هذا الحديث، ونفهمه الفهم الفقهيّ الصحيح؟ وهل كلّ اقتتال بين المسلمين هو من موجبات المساءلة ودخول النار؟ لقد نهى الحديث الشريف عن اقتتال المسلم مع أخيه المسلم، غير أنه لم ينفِ صفة الإسلام والإيمان عن القاتل؛ بمعنى أنّ قتل المسلم للمسلم لا يُخرج القاتل من الإسلام؛ فالقتل كبيرة من الكبائر، ولكنّه لا يُخرج من الدين، وإن كان قتله لأخيه المسلم ظلماً وبلا مسوغ شرعيّ يوجب في حقه القصاص؛ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والتارك لدينه المفارق للجماعة»^(١).

لذا فإنّ الحديث يشمل كلّ من يقتل أخاه المسلم نتيجة شجار عاديّ، أو من أجل أمر دنيويّ، أو يقتله انطلاقاً من تشفّ، أو جرياً وراء الغضب، أو أخذاً بالثأر على طريقة الجاهليّة، أو تنفيذاً للقانون بيده، وليس التزاماً بأمر وليّ الأمر. ولا يشمل الحديث القصاص الذي يجري مجرى القانون، والمحكمة العادلة بالأدلة القاطعة، والتي لا شكّ ولا شبهة فيها.

١ أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب القسامة والمحاربين، باب ما يباح به دم المسلم.

■ متى يجوز قتل المسلم؟

يجوز قتل المسلم بأمر من ولي الأمر إذا استحقَّ القتل، فولِّي الأمر هو المخوَّل بإصدار حكم القتل وتنفيذه القتل، وذلك بعد استنفاد كلِّ البيِّنات، وإقامة الحجَّة القاطعة على القاتل، والنظر في الأدلَّة، وعقد المحاكمات اللازمة في دوائر القضاء المختصَّة، وانتفاء الشبهات التي تُدرأ بها الحدود.

■ الحالات التي يجوز فيها قتل المسلم هي:

- ١ حالة القصاص؛ بأن يقتل امرؤ مسلماً عامداً متعمداً؛ **قال تعالى:** ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ البقرة: ١٧٩.
- ٢ الزاني المحصن؛ وذلك بعد التثبُّت بالأدلَّة القاطعة التي لا تقبل الشكَّ، أو الشبهة.
- ٣ الرِّدة: إذا ارتدَّ المسلم عن دينه، واستتبع، واجتمعت له الأدلَّة والحجج على بطلان ما ذهب إليه من أسباب رَدِّته، ثمَّ أصبر بعد ذلك على موقفه، وخروجه من الدين الحنيف.
- ٤ قتال البغاة: وهم الذين يخرجون على الإمام والخليفة، ويقاثلون الدولة، ويعيشون في الأرض الفساد.
- ٥ المحاربون «المفسدون في الأرض»: وهم الذين يعتدون على المسلمين؛ فيقتلونهم ظلماً وعدواناً، ويسفكون دماءهم بغير حقِّ، أو يعتدون على أموالهم بالسلب والنهب والسرقة، وإتلاف ممتلكاتهم؛ **قال تعالى:** ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ المائدة: ٣٣.
- ٦ جنوح طائفة من المؤمنين عن الحقِّ: فإذا تعرضت طائفة من المؤمنين لطائفة أخرى وأصرت على قتالها لها، رغم أنها ليست على الحقِّ، فهي بذلك تكون متجاوزة ومعتدية؛ **قال تعالى:** ﴿وَإِن طَافَيْنَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْتَلَوْا فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَقَىءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ الحجرات: ٩.
- ٧ في حالة الدفاع عن النفس والمال والعرض: وذلك بعد استنفاد كل ما دون القتل من الوسائل في سبيل رد المعتدي، ففي الحديث الصحيح الذي رواه أبو هريرة، قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله: رأيت لو أن جاء رجل يريد أخذ مالي؟، قال: «فلا تعطه مالك»، قال: رأيت إن قاتلني؟، قال: «فقاتله»، قال: رأيت إن قتلني؟، قال: «فأنت شهيد»، قال: رأيت إن قتلته؟، قال: «هو في النار»^(١).

١ أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من قصد أخذ مال غيره بغير حق كان القاصد مهدر الدم في حقه.

- ١ أكتب الحديث النبوي الشريف: عن الأحنف بن قيس قال: «ذهبت لأنصر هذا الرجل»
الحديث.
- ٢ أعرّف بالصحابي الجليل أبي بكر رضي الله عنه.
- ٣ أيبّن موقف الإسلام من قتل النفس بشكل عامّ، والمسلم بشكل خاصّ.
- ٤ أعدد ثلاث حالات يجوز فيها قتل المسلم.
- ٥ أعلّل: يجوز قتل البغاة والمحاربين.

عن أبي واقد الليثي «أن رسول الله ﷺ، بينما هو جالسٌ في المسجد، والناس معه، إذ أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ، وذهب واحد، قال: فوقفا على رسول الله ﷺ، فأما أحدهما فرأى فرجةً في الحلقة؛ فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهباً، فلما فرغ رسول الله ﷺ، قال: «ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟؛ أما أحدهم فأوى إلى الله فأواه الله، وأما الآخر فاستحيا، فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض، فأعرض الله عنه»^(١).

راوي الحديث:

أبو واقد الليثي، صحابي جليل، مشهور بكنيته، واختُلف في اسمه، قيل: الحارث بن مالك، وقيل: غيره.

أسلم قديماً، ويقال: أسلم يوم الفتح، وأخبر عن نفسه أنه شهد حُنيناً، وقال: كنت حديث عهد بالكفر، وهذا يدل على تأخر إسلامه، وشهد بعد النبي ﷺ اليرموك، ثم جاور بمكة سنةً، وتوفي فيها سنة ثمانٍ وستين، وهو ابن خمس وسبعين سنة، ودفن في مقبرة المهاجرين، وقد روى عن النبي ﷺ أربعة وعشرين حديثاً.

شرح الحديث:

يتناول الحديث الشريف مجالس العلم في زمن الرسول ﷺ وأدابها، وثواب مَنْ يحرص عليها، وعقاب مَنْ يدبر عنها؛ فالحديث يصور لنا مجلساً من مجالسه ﷺ تصويراً حقيقياً، يحس المرء منه أن المجلس مائل بين يديه، والناس بين مقبل عليه، ومدبر عنه.

الإقبال على مجالس العلم:

لمجالس العلم في الإسلام أهمية عظيمة؛ ففيها يكتسب العلم، وفيها يتخرج العلماء، وتصل شخصية الفرد، وتوحد ثقافة الأمة، وتبرز هويتها وتميزها من سائر الأمم.

١ أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب العلم، باب من قعد حيث ينتهي به المجلس.

وقد كان المسجد في زمن الرسول ﷺ، ثم في الأزمان التي تلتها، يضم بين جنباته حلقات العلم التي بلغ فيها الرسول ﷺ رسالته، ونشر أحكام الإسلام، وعلم الناس الخير، وفيها تعلم العلماء وعلموا. وفي الحديث الشريف بيان لموقف ثلاثة رجال دخلوا إلى مجلس الرسول ﷺ، فخرج أحدهم من المجلس، وأما الاثنان فقد وجد أحدهما فسحة في المجلس فجلس فيها، والآخر جلس خلف الحلقة، حيث لم يجد فرجة منها تتيح له الجلوس، فاستثمر الرسول ﷺ هذا الموقف ليبين لصحابته الكرام فضل الإقبال على مجالس العلم، وجزاء الإقبال عنها.

■ فضل الإقبال على مجالس العلم:

لما فرغ الرسول ﷺ، مما كان مشغولاً فيه من تعليم وذكر، بين أمر النفر الثلاثة، وموقفهم من مجلسه ﷺ، وقال: «أما أحدهم فأوى إلى الله، فأواه الله»، بمعنى أنه لجأ إلى الله تعالى بانضمامه إلى مجلس العلم، فكان نظير فعله أن «أواه الله»؛ أي جازاه على ذلك بأن شمله في رحمته فأجزل له الثواب. «وأما الآخر فاستحيا، فاستحيا الله منه»، بمعنى أنه عاد وجلس خلف المجلس استحياء من الله تعالى ورسوله ﷺ ومن الحاضرين، فجازاه الله بمثل فعله بأن رحمه، فلم يعاقبه.

فائدة:

ورد في الحديث لفظان استخدمنا من باب المجاز وهما: «فأواه الله»، «فاستحيا الله منه»، فأواه تعني: أنزله عنده، والاستحياء فيه معنى الانكسار، والمعنيان بحق الله ممتنعان، ففسر اللفظان بالرحمة والثواب.

■ جزاء مَنْ يُدبر عن مجالس العلم وعقابه:

بين الرسول ﷺ جزاء من يعرض عن مجالس العلم بقوله: «وأما الآخر فأعرض، فأعرض الله عنه»؛ أي أعرض عن مجلس العلم، فلم يلتفت إليه، بل ولى مدبراً، إما زهداً فيه، وإما استكباراً بسبب كونه منافقاً؛ لأن هذا لا يفعله الصحابة، بل صفات المنافقين، فجازاه الله نظير إعراضه بأن سخط عليه، والظاهر من سياق الحديث أن إعراضه عن المجلس لم يكن لعذر مقبول شرعاً.

نشاط:

بمساعدة المعلم، أبين وجه المجاز في قوله صلى الله عليه وسلم: «فأعرض الله عنه»

يستفاد من الحديث ما يأتي:

- أولاً: مَنْ جلس إلى حلقة علم فإنه في كنف الله تعالى ورحمته .
- ثانياً: على العالم أن يؤوي المتعلم؛ لقوله ﷺ: «فأواه الله» .
- ثالثاً: التزام الأدب في مجالس العلم .
- رابعاً: استحباب التحلق للعلم والذكر في المسجد .
- خامساً: جواز التخطي؛ لسد الخلل ما لم يؤذ أحداً، فإن خشي استحباب أن يجلس حيث ينتهي به المجلس .
- سادساً: الثناء على مَنْ زاحم في طلب الخير .
- سابعاً: أن من أعرض عن مجالسة العلماء، فإن الله يُعرض عنه، ومن أعرض الله عنه، فقد تعرض لسخطه .
- ثامناً: جواز الإخبار عن أهل المعاصي، وأحوالهم؛ للزجر عنها؛ «وأن ذلك لا يُعدُّ غيبة» .

التقويم

- ١ أكتب حديث الرسول ﷺ عن أبي واقد الليثي: «أن رسول الله ﷺ، بينما هو جالس في المسجد، إذ أقبل ثلاثة نفر الحديث» .
- ٢ أوضح ما يأتي: «فأوى إلى الله، فأواه الله» .
- ٣ أذكر خمس فوائد مستنبطة من الحديث السابق .
- ٤ أعلل: جواز الإخبار عن أهل المعاصي .

عن حميد بن عبد الرحمن : سمعت معاوية -خطيباً- يقول : سمعت النبي ﷺ ، يقول : «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ ، وَاللَّهُ يُعْطِي ، وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الْأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ» .^(١)

راوي الحديث:

ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ، أبو عبد الرحمن الخليفة ، صحابي جليل ، أسلم قبل الفتح ، من كُتَاب الوحي ، ومات في رجب سنة ستين هجرية ، وقد قارب الثمانين ، روى له الجماعة .
حميد بن عبد الرحمن بن عون القرشي الزهري ، أبو إبراهيم ، ويقال : المدني ، وأمه أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ، أخت عثمان بن عفان لأمه ، وكانت من المهاجرات ، وثقه أبو زرعة ، وابن خراش ، والعجلي ، وغيرهم .
وقال ابن حجر : «مات سنة خمس ومئة على الصحيح» .

■ شرح الحديث:

هذا حديث عظيم الشأن ، كثير النفع ، من أعظم فضائل العلم ، إذ إن العلم النافع علامة على سعادة العبد ، وأن الله أراد به خيراً ، ومفهوم الحديث دل على أن مَنْ أَعْرَضَ عَنْ هَذِهِ الْعُلُومِ بِالْكُلِّيَّةِ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَرِدْ لَهُ خَيْرٌ ؛ لِحِرْمَانِهِ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُنَالُ بِهَا الْخَيْرَاتِ ، وَتُكْتَسَبُ بِهَا السَّعَادَةُ .
قوله : «سمعت معاوية -خطيباً-» : أي وهو يخطب .

■ والحديث يشتمل على ثلاثة أمور:

- ١ فضل التفقه في الدين .
- ٢ المعطي في الحقيقة هو الله .
- ٣ أن طائفة من هذه الأمة تبقى على الحق إلى يوم القيامة ، حتى يأتي أمر الله لا يضرهم مَنْ خالفهم .

١ أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب العلم ، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين .

وفيما يأتي بيان الأمور الثلاثة :

■ فضل التفقه في الدين:

في قوله ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»: إثبات الخيرية لمن تفقه في دين الله تعالى وتحصل له العلم بقواعد الإسلام وأحكامه ، وأن ذلك لا يكون بالاكْتِسَاب فقط ، بل لمن يفتح الله عليه به ، وأن مَنْ يفتح الله عليه بذلك ، فقد أراد به الخير الكثير .

ويفيد الحديث بمفهومه أن مَنْ لم يتفقه في الدين ؛ أي : لم يتعلم قواعد الإسلام ، وما يتصل بها من الفروع فقد حُرِمَ الخير الكثير .

ومن الجدير بالذكر ، أن الحديث لا ينتقص من قيمة العلوم الأخرى ، فقد يكون المسلم مختصاً في علم يعود بالنفع على الأمة والمجتمع ؛ كعلم الطب ، والصيدلة ، والهندسة ، وغيرها ، عالماً ملتزماً بدينه (عقيدة ، وأحكاماً) ، فهو أمر محمود ، مأجور عليه .

وأما المذموم فهو أن يترع المسلم في علم من العلوم التجريبية الأخرى ، ويجهل دينه (عقيدة ، وأحكاماً) ، ولا يلتزم بها في حياته العملية .

■ المعطي في الحقيقة هو الله:

وفي قوله ﷺ: «إِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ ، وَاللَّهُ يُعْطِي» إخبار عن نفسه أنه هو القاسم ، وأنه لا يعطي أحداً شيئاً أو يمنعه من شيء ، ولكن الله تعالى هو المعطي في الأشياء كلها: دقها وجلها ، رزقاً كان ، أو علماً ، أو عملاً ، وهو المانع ؛ لأن الأمور كلها بيده ، ومصدرها عن قضائه ، ووظيفة المكلف في ذلك الأخذ بالأسباب ؛ **لقوله تعالى:** ﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ الملك : ١٥ .

نشاط:

كيف أوفق بين قول الله تعالى: ﴿ لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أَذًى ﴾ آل عمران: ١١١ ، وبين قول الرسول ﷺ: «لا يضرهم من خالفهم» .

■ بقاء بعض هذه الأمة على الحق إلى يوم القيامة:

لقد بين الرسول ﷺ في قوله: «ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله ، لا يضرهم مَنْ خالفهم حتى يأتي أمر الله» أن شأن أمة ﷺ القيام على أمر الله إلى يوم القيامة ، وهذا شأن من أراد الله بهم خيراً ، حتى فُفِّهوا في الدين ، ونصروا الحق ، ولم يخافوا مَنْ خالفهم ؛ **قال تعالى:** ﴿ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ المجادلة : ٢٢ .

وفي قوله ﷺ: «ولن نزال . . . إلخ» إشارة إلى أن أمته آخر الأمم، وفي الحديث دليل على أفضلية هذه الأمة على غيرها من الأمم، إذ إن الله أبقاها على دينها إلى قيام الساعة، من غير أن يدخل عليها في ذلك خلل. وقوله ﷺ: «لا يضرهم من خالفهم» دليل على ظهور الباطل؛ لأن مخالفة الحق لا تكون إلا من أهل الباطل؛ قال تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ يونس: ٣٢.

وفي الحديث بشارة عظيمة لمن قام على أمر دينه؛ بأنه لا يخاف الضرر- وإن كثرت أهل الباطل- فيكون أبداً مطمئن النفس، منشرح الصدر؛ قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الروم: ٤٧. والمراد بقوله ﷺ: «حتى يأتي أمر الله»: الريح التي تقبض روح كل من في قلبه شيء من الإيمان، ويبقى شرار الناس الذين تقوم الساعة، وهم من ذكروهم الرسول ﷺ بقوله: «لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس»^(١).

وقد روي عن أبي أمامة^(٢) في الطائفة التي ثبتت على الحق، نحو حديث الدرس، وزاد فيه، «قالوا: يا رسول الله! وأين هم؟»، قال: ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس».

يستفاد من الحديث:

- ١ فضيلة العلم، والتفقه في الدين.
- ٢ فضل العلماء على سائر الناس، وفضل التفقه في الدين على سائر العلوم.
- ٣ إخباره ﷺ بالمغيبات، وقد وقع ما أخبر به ﷺ والحمد لله، فلم تزل هذه الطائفة من زمنه ﷺ، ولن تزول، حتى يأتي أمر الله.
- ٤ أفضلية هذه الأمة على غيرها من الأمم.

التقويم

- ١ أكتب الحديث الشريف: «من يُردِ الله به خيراً الحديث».
- ٢ أشرح ما يأتي:
 - أ إنما أنا قاسمٌ، والله يُعطي.
 - ب قائمة على أمر الله.
 - ج حتى يأتي أمر الله.
- ٣ أوضِّح علاقة الحديث بالعلوم غير الشرعية (الدنيوية).
- ٤ أذكر أربعة أمور مستفادة من الحديث.

١ أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الفتن، باب قُرب الساعة، ح ١٣١.

٢ أخرجه أحمد في مسنده: ح ٢٦٩/٥.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلط على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها، ويُعلمها»^(١).

راوي الحديث:

هو عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي، يُكنى بأبي عبد الرحمن، صحابي جليل من خيرة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وكان من أوائل مَنْ أسلم، هاجر الهجرتين، وشهد بدرًا، والغزوات كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم، امتدحه النبي صلى الله عليه وسلم، وهو صغير، بقوله: «إنك غلامٌ مُعَلَّمٌ»، ويعتبر من المكثرين في رواية الحديث، مات بالمدينة المنورة سنة (٣٢) هـ.

شرح الحديث:

بين الحسد والغبطة:

وردت كلمة الحسد في بداية الحديث، وهي في سياق النهي؛ أي لا حسد مقبول إلا في أمرين، أو خصلتين بحسب ظاهر النص. ونقف في شرح الحديث عند تساؤل مشروع: إذا كان الحسد خُلُقًا مذمومًا، فكيف يكون محمودًا في بعض الأمور، كما بين الحديث؟ ويجاب عن ذلك، بأن كلمة الحسد وردت في الحديث من باب المجاز، قال ابن حجر العسقلاني رحمه الله: «وأما الحسد المذكور في الحديث فهو الغبطة، وأطلق الحسد عليه مجازاً».

الفرق بين الحسد والغبطة:

الحسد: تمنّي زوال النعمة عن الغير وحصولها له، وهذا يُظهر مدى خطورته، وأنه مرض يستحکم بصاحبه، فيملأ قلبه حتى يصل إلى مرحلة يكره فيها حصول الخير للناس، وهذا يتنافى مع مقتضيات

١ أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة.

الإيمان التي ذكرها النبي ﷺ في حديثه: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»^(١).
 أما الغبطة فهي أن يتمنى المرء أن يكون له مثل ما لغيره، من غير أن يزول عنه، فهذا أمر مشروع، فليس
 هناك ما يمنع أن يتطلع الإنسان إلى حصول الخير له، بل هذا ما جُبلت عليه النفس البشرية من حُب الخير
 والنفعة، كما أخبر سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ العاديات: ٨.

فائدة:

- ورد لفظ (اثنتين) في الحديث بالتأنيث، وهذا على تقدير محذوف، بمعنى لا حسد إلا في
 خصلتين اثنتين.
- ووردت كلمة (رجل) من باب التغليب وإلا فالمرء يغبط الآخرين في الخير رجلاً كان أو امرأة.

■ فضل الإنفاق في سبيل الله:

في قول الرسول ﷺ: «رجل آتاه الله مالا فسلط على هلكته في الحق»: توجيه إلى شرف عظيم فيه
 صلاح للمسلم وسعادة في الدنيا والآخرة، ألا وهو الإنفاق في سبيل الله، فمن آتاه الله -تعالى- مالا
 وافرأ فجاد به على عباد الله -تعالى- ليسد به حاجة أو يداوي به مريضاً، أو يكفل به يتيماً، فهو حري بأن
 يغبطه المسلمون، ويحظى برضا رب العالمين، قال ﷺ: «نعم المال الصالح في يد العبد الصالح»^(٢).

وتمثل مفردات الحديث غاية الروعة والبلاغة في التعبير عن المعنى، فالتسلط الذي تشير إليه كلمة
 (فسلّط)؛ يعبر عن شكل من أشكال القهر، والرجل العظيم هو الذي يقهر رغبات النفس التي تعشق المال
 عشقاً، كما أخبر سبحانه: ﴿وَتُحِبُّونَ أَمْوَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ الفجر: ٢٠.

فإذا حدثته نفسه بضرورة الكنز والادّخار قهرها بالإنفاق، وإذا ذكّرته بتقلب الزمان، وضرورة
 الاحتياط للمستقبل قهرها أيضاً بمزيد من الإنفاق في سبيل الله.

وانظر إلى كلمة (هَلَكْتِه): فالهلاك كلمة تدلّ على زوال الشيء، وهي غير محببة، فهي غالباً ما تستعمل
 في وصف نهاية الأشياء التي لا نجّتها، فإذا مات الظالم قالوا: هلك، ونزول عقاب الله على الظالمين
 يسمى هلاكاً، واستعمال هذا اللفظ في الحديث، واقتترانه بإنفاق المال إشارة إلى مسارعة المؤمن إلى الإنفاق
 في سبيل الله، فهو يعمد إلى ماله؛ فيكثر الإنفاق منه، وهذا ما كان عليه سيد البشر محمد ﷺ، فكان إذا
 جاءه مال عمد إلى إنفاقه سريعاً، حتى لا يبيت منه شيء.

١ أخرج مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

٢ أخرج البخاري في الأدب المفرد، ج ١، ص ١١٢، وصححه الألباني.

■ الإنفاق بالحق:

وردت كلمة (في الحق) في نهاية الكلام عن الإنفاق، وهو قيد ضروري، فكل صاحب مال ينفق ماله، ولكن شتان بين مَنْ ينفق ماله إشباعاً لرغبات النفس ونزواتها بالحرام، وينغمس في المذات المحرمة، وبين مَنْ يُنفق ماله ابتغاء مرضاة الله، وهو ما عبّر عنه الحديث (في الحق)، فشتان ما بين إنفاق، وإنفاق.

■ المال يزيد بالنفقة:

إنّ من مقتضيات العقل أنّ المال إذا أخذ منه نقص، ولكنّ الله تبارك وتعالى تكفّل للمنفقين بالبركة والمضاعفة؛ **قال تعالى:** ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ ﴾ **سبا: ٣٩**، وقال ﷺ: «ما نقصت صدقة من مال»^(١). وإذا كان الله يضاعف للمحسنين أموالهم في الدنيا، فإنّ الخير في الآخرة أكبر؛ **قال تعالى:** ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ **البقرة: ٢٦١**.

■ فضل العلم:

الخصلة الثانية التي يغبط عليها المسلم هي الحكمة والفهم الذي يتتبع به صاحبه، وينفع به الناس، وهذا ما أشار إليه، **الرسول ﷺ بقوله:** «ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها»، والحكمة وضع الشيء في موضعه بإحكام وإتقان، ولا يسمى الرجل حكيماً إلا إذا كان صاحب رأي سديد، قادراً على وزن الأمور، ووضع المسائل في نصابها، وقد أثنى الله تعالى على مَنْ رُزق هذه الصفة؛ **فقال سبحانه:** ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ **البقرة: ٢٦٩**، وأكمل الخلق حكمة محمد ﷺ؛ **قال سبحانه وتعالى:** ﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ **النساء: ١١٣**، وفضل الحكمة والعلم الذي امتدحه الحديث ليس لمجرد امتلاك الإنسان له، بل بإشاعته بين الناس، وتعليمه للآخرين والعمل به في كلّ الميادين، والقضاء به حيثما لزم؛ ولذلك حرص الرسول ﷺ على تعليم الناس الكتاب والحكمة؛ **قال سبحانه:** ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ **البقرة: ١٥١**.

وإذا كان طلب العلم شرفاً؛ فتعليمه للناس أشرف، فعن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم»، ثم **قال ﷺ:** «إنّ الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى

١ أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة والأدب، باب استحباب العفو والتواضع.

النملة في جحرها وحتى الحوت ليُصَلُّون على معلِّمي الناس الخير»^(١) .

وإذا كان لطلب العلم هذه الميزة العظيمة فلا بد من إخلاص النيّة لله تعالى في طلبه، وإلا تحوّل إلى وبال على صاحبه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: **قال رسول الله ﷺ: «من تعلم علماً مما يُبتغى به وجه الله عز وجل، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة»**؛ يعني ربحها^(٢) .

رتب الله لمن سعى في تحصيل العلم أجراً عظيماً؛ لأنّ طلبه فضيلة، وميّزه عن غيره في الدنيا والآخرة؛ **قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾** الزمر: ٩ .

وجعل الله سبحانه وتعالى لمن يسلك طريق العلم ساعياً لنيل هذا الشرف طريقاً إلى جنته، فقد جاء في الحديث الصحيح: أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة»^(٣) .

يستفاد من الحديث:

- ١ الحسد مذموم، والغبطة محمودة .
- ٢ الحثّ على المنافسة في فعل الخيرات، والتشبه بأهل الفضل؛ كالعلماء، والمحسنين .
- ٣ اجتماع التقوى والمال عند المسلم من أفضل نعم الله على العبد .
- ٤ إنفاق المال لا بدّ أن يكون في المباحات والقربات .
- ٥ الإنفاق في سبيل الله زيادة في البركة في الدنيا، وأجورٌ مضاعفة في الآخرة .
- ٦ تحصيل العلم وقار في الدنيا، وفوز بالجنة في الآخرة .

١ أخرجه الترمذي في سننه: كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، وقال حديث حسن غريب صحيح .

٢ رواه أبو رداد في سننه: كتاب العلم، باب في طلب العلم لغير الله تعالى .

٣ أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن .

- ١ أعرف المصطلحات الآتية :
 ■ الحسد ■ الحكمة
- ٢ أضع إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (X) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :
 أ () كلمة (فسلط) تدلّ على إجبار الأغنياء على الصدقة حفظاً لحقّ الفقراء .
 ب () الحسد بعضه محمود، وبعضه مذموم .
 ج () الرسول ﷺ أكثر الناس بلاغة .
 د () الإخلاص في النية شرطٌ خاصٌّ بالإنفاق، وتعليم الحكمة للناس .
- ٣ أفرّق بين الحسد وبين الغبطة .
- ٤ أعلّل ما يأتي :
 أ الصدقة لا تُنقص المال .
 ب لا يقبل الله العلم، إلا إذا كان خالصاً لوجهه تعالى .
 ج ورود كلمة رجل في الحديث مع أنّ فضائل الأعمال لا ترتبط بالرجال دون النساء .
- ٥ أوضح أهميّة تعليم الناس الخير .

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مَثَلُ ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كَمَثَلِ الغيثِ الكثيرِ أصابَ أرضاً، فكان منها نقيةٌ قبلت الماء؛ فأنبتت الكلاً والعشبَ الكثير، وكانت منها أجادبٌ أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس فشرّبوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفةٌ أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماءً، ولا تنبتُ كلاً، فذلك مثلٌ من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به، فعلم وعلم، ومثلٌ من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلتُ به»^(١).

راوي الحديث:

أبو موسى الأشعريّ: هو عبد الله بن قيس بن سليم، صحابيّ جليل، هاجر إلى الحبشة، ثمّ منها إلى المدينة المنورة، وكان له صوت جميل في قراءة القرآن، حتى قال عنه صلى الله عليه وسلم: «لقد أوتي هذا مزماراً من مزامير آل داود»^(٢)، استعمله النبي صلى الله عليه وسلم على عدن، واستعمله عمر على الكوفة، توفي سنة (٤٢) هـ.

■ شرح الحديث:

هذا حديث عظيم يتناول النفس البشرية، واستعدادها للتعاظم مع وحي السماء، ما بين الإيجابية النافعة، والسلبية الضارة المضرة.

■ حياة القلوب:

بعث الله سبحانه وتعالى رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم؛ ليرشد الناس إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم، فيعرفهم بربهم، ويهديهم إلى رسالتهم في الحياة، وجعل الله رسالته رسالة رحمة، كما وصف الله تعالى بقوله:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ الأنبياء: ١٠٧.

ويبين النبي صلى الله عليه وسلم في مطلع الحديث أنّ العلم والهدى الذي جاء به فيه حياة القلوب؛ كالغيث النازل من السماء فيه إحياء للأرض بعد موتها؛ حيث يقول: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل

١ أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم.

٢ أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن.

الغيث الكثير أصاب أرضاً»، ولأنّ الأرض ليست سواءً في انتفاعها بالغيث، فكذلك البشر ليسوا سواءً في انتفاعهم بالعلم وهدى الأنبياء .

■ خير الناس من علّم وعَلَّمَ:

الأصل الذي ينبغي أن يكون عليه حال كلّ مسلم أن يتعلم العلم ويتنفع به، فإذا صار راسخاً في نفسه، وظهرت ثمرته في سلوكه، فإنّه يبذل هذا الخير إلى غيره من الناس، فالمؤمن يحبّ لأخيه ما يحب لنفسه. هذه الصورة المشرقة لمن فقه في دين الله تعالى، فعَلِمَ وَعَلَّمَ، وقد شبهها النبي ﷺ بصورة الأرض الخصبة الصالحة للزراعة، فإذا نزل عليها المطر انتفعت به، وخزنته في بطنها، ثمّ ما تلبث أن تجود بما أعطها الله، فإذا بالنبات يزين ظهرها؛ فينتفع به الناس والحيوان؛ **قال تعالى**: ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ **الحج: ٥**، وهذا ما عبر عنه الرسول ﷺ بقوله: «فكان منها نقية قبلت الماء؛ فأنبت الكلاً والعشب الكثير»، فكلمة «نقية» صفة لمحذوف؛ أي بقعة نقية. **وقوله**: «الكلاً والعشب» من باب عطف الخاصّ على العامّ؛ لأنّ الكلاً لفظ عامّ يطلق على النبات الرطب منه واليابس، أمّا العشب فيطلق على الرطب فقط.

فالتأفة التي تعلّمت العلم، وعملت به، وانتفعت منه، ثم علّمت غيرها، ونفعت به الأمة، هي خير تأفة وأفضلها من بين الناس .

وهذه الخيرية التي وصف الله تعالى بها أمة الإسلام، والتي لم تنل هذا الشرف العظيم إلا بعد إيمانها بالله تعالى، ثمّ القيام على واجب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر الذي فيه صلاح الناس وسعادتهم في الدنيا والآخرة؛ **مصدّقاً لقوله تعالى**: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ **آل عمران: ١١٠**.

■ حملة الخير للناس:

ثمّ يعرج النبي ﷺ على تأفة ثانية من الناس، **بقوله**: «وكانت منها أجادبٌ أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا»، في إشارة إلى من جمع العلم لكنّه لم يعمل بفروعه، أو لم يتفقه فيما جمع، لكنّه يؤدّي هذا العلم إلى غيره.

وهذا النوع هو الذي أشار إليه النبي ﷺ في حديث آخر: «ليبلغ الشاهد الغائب، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه»^(١).

١ . رواه البخاري في صحيحه: كتاب العلم: باب قول النبي -صلى الله عليه وسلم- رب مبلغ أوعى من سامع .

فهذا النوع له فضل حمل العلم إلى الناس وتعليمه، وله أجره إن صدق النيّة، وأخلصها لله تعالى، رغم أنه حرم نفسه من خير العمل بها، والانتفاع بما حوته من ثمار، وحكم.

وهذه الطائفة التي ذكرها الحديث هي بمنزلة الأرض الجذباء -أي الصلبة- التي لا تصلح للزراعة، فلا تنبت العشب والكلاء، لكنّها تمسك الماء وتحفظه، فينفع الله بها الناس؛ فيشربون من مائها، ويسقون دوابهم، فهي أرض فيها خير، نفعت الإنسان والحيوان، ولكنها حرمت من الانتفاع لنفسها.

ولا بد هنا من التحذير من أن استغراق الإنسان في نصح غيره من الناس، وغفلته عن نفسه، وتقصيره في فعل ما يأمر به غيره هو شيء مذموم، حذر منه القرآن الكريم؛ **قال تعالى:** ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ **الصف: ٢-٣.**

وقد بين القرآن الكريم أنّ هذا الفعل لا يستقيم مع العقول السليمة، كما في **قوله تعالى:** ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ **البقرة: ٤٤.**

وقديماً قال الشاعر:

كالعيس في البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول

■ القلوب المقفلة:

وفي **قوله ﷺ:** «وأصابت منها طائفة أخرى إنّما هي قيعان لا تمسك ماءً، ولا تنبت كلاً»، إشارة إلى طائفة مردولة، قلوب أصحابها مقفلة، لا تنتفع بعلم ولا هدى، وبالتالي لا يمكن أن تكون سبباً في منفعة الناس وهدايتهم؛ ففاقد الشيء لا يعطيه.

وقد شبه النبي ﷺ هذا النوع من الناس بالأرض ذات القيعان الملساء التي لا تنتفع بالماء ولا تمسكه، فلا تنبت الزرع والكلاء، وهي كذلك لا تحتفظ بالماء كسابقتها، ليستعمله الناس في شربهم وزراعتهم، فهي أرض ليس فيها فائدة.

وهذا الصنف وصفه النبي ﷺ بأنه: «لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به». ومن كانت هذه حاله مع الغير، يكون عالّة على الحياة، لا يقدم شيئاً لنفسه ولا لغيره، بل يزداد الأمر سوءاً إذا كان يلحق الأذى بالناس، ويقف أمام نهضة الأمة وتقدمها.

وخلاصة ما يمكن قوله في سياق ما عرضه الحديث الشريف من معانٍ أن من أراد الخير فليكن من الطائفة الأولى، فمنهجها منهج صحابة النبي ﷺ الذين تعلموا العلم للعمل، فقد كانوا يقرؤون الآية، ويتفقهون بما تحويه من علم ومعرفة، ثم يطبقونها، ولا يتجاوزون إلى آية أخرى إلا بعد التطبيق الكامل لما تعلموه.

التشبيه التمثيلي :

من الواضح أنّ النبي ﷺ لم يطرح المعاني والأفكار التي أراد أن يعلمها لأمتة مجردة ونظرية، وإنما أراد ﷺ - وهذا من بدائع بلاغته - أن يصوّر تلك المعاني المجردة بمشاهد تمثيلية وتصويرية حيّة مفعمة بالحياة، فكأنك تنظر إلى السماء، وهي تمطر مطراً غزيراً، وترى حبات القطر تتراقص مع ذرات الثرى؛ لتنبت وتزهر في هذه البقعة، وتتجمع في أحواض مائية في بقعة أخرى، وتسيل في بقعة ثالثة، ولا تتجمع فيها.

ومن المعروف عند العلماء، أنّ التصوير أبلغ تأثيراً على النفس من طرح المعاني مجردة، وهذا الأسلوب واضح في القرآن الكريم، حتى قالوا: إنّ ثلاثة أرباع القرآن هو من باب التصوير الفني.

ومن خلال العرض السابق، يتبين لنا أنّ الحديث اشتمل على صور تمثيلية ثلاث:

- ١ صورة المسلم الذي ينتفع بالعلم والهدى، وينشر هذا العلم بين الناس، حيث شبهه بصورة الأرض الخصبة التي تنتفع بالماء فتنبت الكأ والعشب.
- ٢ صورة المسلم الذي ينفع غيره، ولا ينتفع لنفسه، حيث شبهه بصورة الأرض الصلبة التي لا تنبت، لكنها تحفظ الماء؛ لينتفع به الخلق.
- ٣ صورة الذي لا ينتفع بالعلم، ولا ينفع غيره، حيث شبهه بصورة الأرض السبخة التي لا تنبت شيئاً، ولا تحتفظ بالماء لينتفع به الناس.

- ١ أعرف المصطلحات الآتية :
 ■ الكلاء، ■ العشب، ■ أجادب .
- ٢ أبين وجه الشبه بين ما جاء به النبي ﷺ من الهدى والعلم، وبين المطر .
- ٣ متى يكون نقل العلم مذموماً؟ .
- ٤ أضع إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (X) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :
- أ () الطائفة التي أشار إليها الرسول ﷺ بقوله: «نقية قبلت الماء» هي خير طائفة في الطوائف الثلاثة المذكورة .
- ب () قد يكون سامع العلم أفضل من ناقله .
- ج () القلوب المقفلة التي لا تنفع، ولا تنتفع معول هدم للأمة .
- د () كلمة (نقية) في الحديث هي صفة للماء .

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مسلم تُصيبه مصيبة، فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبي، وأخلف لي خيراً منها إلا أجره الله في مصيبيته، وأخلف له خيراً منها»، قالت: فلما توفي أبو سلمة، قلت: كما أمرني رسول الله؛ فأخلف الله لي خيراً منه رسول الله ﷺ.^(١)

راوي الحديث:

أم سلمة: هند بنت أبي أمية القرشية المخزومية، كان أبوها من أجواد قريش المشهورين بالكرم، تُعتبر هي وزوجها أبو سلمة المخزومي من السابقين للإسلام، هاجرت مع زوجها إلى الحبشة، ثم إلى المدينة، وكانت أول امرأة مهاجرة تدخل المدينة، مات زوجها إثر جرح أصابه في غزوة أحد، كان -دائماً- يدعو: «اللهم اخلفني في أهلي بخير»؛ فأخلفه رسول الله ﷺ على زوجته؛ فصارت أمّاً للمؤمنين، وصار أبنائها ربائب في حجره، وهي تعدّ من فقهاء الصحابة، ومن رواة الحديث، حيث روت (١٥٨) حديثاً، كانت آخر مَنْ مات من أمهات المؤمنين، وذلك سنة ٦٢ هـ، وعاشت حوالي تسعين سنة.

هذا حديث عظيم من أحاديث رسول الله ﷺ في توجيه الأمة للصبر على مصائب الدهر، وقد روته صحابيّة جليّة من أمهات المؤمنين ابتليت، فصبرت واحتسبت، ورضيت بحكم الله، فكانت قدوة في الثبات والتحمل والصبر، وحبس النفس على طاعة الله، وعن محارمه، وعلى أقداره سبحانه وتعالى. والمصائب تُؤلم الإنسان، ولا يحبها، ولكن يُصبر نفسه، فلا يتحدث باللسان بما يسخط الله، ولا يفعل بجوارحه ما يغضب الله، ويكون في قلبه راضياً عن الله.

■ حثّ الأمة على الصبر:

وقد جاء في متن الحديث: «ما من مسلم تصيبه مصيبة»؛ أي يتلى ببلاء، سواء أكان في نفسه أم في ماله أم في أهله؛ لأنّ كل ما يؤذي المؤمن يسمى مصيبة؛ فالنكبة التي تصيب الإنسان -وإن صغرت-

١ أخرجه مسلم: كتاب الجنائز، باب ما يقال عند المصيبة

فهي مصيبة، وهذه الابتلاءات أمر حتمي في الدنيا، فالله إذا أحب مؤمناً ابتلاه، فلا بد من التهيؤ للرضا بقضائه .

والمصائب شر في ظاهرها، ولكنها خير في باطنها؛ لأنها من الله، وعلى المسلم أن يواجهها بالاحتساب والرضا، فقد رآه الله نافذ في عبادته؛ **قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾ الأنعام: ٦١** .

وقد جاءت كثير من النصوص الشرعية تحض على الصبر وتبين أجر الصابرين، منها:

• **قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ البقرة: ١٥٦-١٥٧** ، **وقوله تعالى: ﴿ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ الرعد: ٢٤** .

• عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات ولد العبد، قال الله تعالى لملائكته: قبضتم ثمرة فواده؟!»، فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟، فيقولون: حمدك، واسترجع، فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة، وسموه بيت الحمد»^(١) .

• عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي، قال: «ما يصيب المسلم من نصب، ولا وصب^(٢)، ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها»^(٣) . وهذا من رحمة الله تعالى بعباده، أن جعل جزاء صبرهم على المصائب أجراً عظيماً، وثواباً جزيلاً.

■ الترغيب في الدعاء:

وفي **قوله ﷺ: «اللهم أجرني في مصيبي واخلف لي خيراً منها»**، دعاء عظيم يظهر منه الرضا بقدر الله، وفيه توجيه للمؤمن إلى أدب الدعاء بأن يتوجه إلى الله سائلاً للأجر والثواب بلهجة لا اعتراض فيها على قضائه، ولا سخط فيها على ربه «اللهم أجرني في مصيبي»، ويسأل الله - سبحانه - أن يبدله خيراً مما أخذ منه في الدنيا والآخرة، وهنا تظهر إيجابية المؤمن الذي لا يصاب بالهزيمة، ولا تهزّه المصائب؛ فيقنط ويستسلم، بل ينطلق في الحياة ليعمل بإيجابية، طالباً للخير وهو يستيقن أن الله وحده قادر على أن يهب له أفضل مما حرمه منه، ولا أدل على ذلك مما أعطى الله سيدنا أيوب بعد ابتلاء طويل أصابه فصبر ورضي واحتسب فكانت له خير عقبى .

أما **قوله ﷺ: «وأخلف لي خيراً منها»**؛ أي أسألك يا رب أن تبدلني في أهلي، ومالي، وأبنائي بدلاً وعوضاً أفضل مما فقدت في النفس، والمال، والأهل، والولد.

١ رواه الترمذي: كتاب الجنائز، باب فضل المصيبة إذا احتسب.

٢ وصب: مَرَضٌ.

٣ رواه البخاري: كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرضى.

■ استجابة الله للدعاء:

في قوله ﷺ: «إلا أجره الله في مصيبيته، وأبدله خيراً منها»: تلمس استجابة الله لدعاء المؤمنين الصابرين الذين لجؤوا إليه، ورضوا بقضائه، فقد تعهد الله لهم بالأجر العظيم في الآخرة، وأعلى الدرجات في الجنة، أما في الدنيا، فتعهد الله لهم بأنه سيدلهم أفضل ما كان عندهم، وفي هذا تسلية لهم وتثبيت، وفي قصة الصحابية أم سلمة ؓ التي فقدت زوجها بعد ابتلائها بالهجرة إلى الحبشة، ثم إلى المدينة، وما امتحنت به أثناء الهجرة من ترك الأهل والوطن، خير دليل على فضل الدعاء عند المصيبة، فقد جزعت أم سلمة ؓ في بداية الأمر، وحين ذُكرت بهذا الدعاء الذي روته: «وأخلف لي خيراً منها»، قالت: «ومن أفضل من أبي سلمه»؛ أي ليس على وجه الأرض من هو أفضل من زوجها الذي فقدته، ثم عازمت على أن تدعو بهذا الدعاء، فصارت تردّد: «اللهم أجرني في مصيبي، واخلفني خيراً منها»؛ فخلفها على زوجها رسول الله ﷺ الذي هو خير خلق الله، وفي هذا استجابة -أيضاً- لدعاء زوجها ﷺ الذي كان يدعو دائماً: «اللهم اخلفني في أهلي بخير؛ فصارت أم سلمه في رعاية رسول الله ﷺ، وأماً للمؤمنين بزواجها منه ﷺ في كبرها، وعاشت مع رسول الله ﷺ معززة مكرّمة، مسموعة الكلمة بفضل راحة عقلها وحكمتها.

التقويم

- ١ أكتب حديث الرسول ﷺ: «ما من مسلم الحديث».
- ٢ أيبّن معنى: أجرني في مصيبي، وأخلف لي خيراً منها.
- ٣ أترجم حياة الصحابية أم سلمة ؓ.
- ٤ أدلل بآية كريمة أو حديث شريف على عظيم أجر الصابرين.
- ٥ أعلل ما يأتي:
 - أ حثّ المؤمنين على الصبر.
 - ب توجيه الرسول ﷺ المؤمنين إلى الدعاء.
- ٦ أكتب ثلاثة دروس وعبر مستفادة من هذا الحديث.

عن أنس بن مالك قال: «مُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأَتَنِي عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: وَجَبْتُ، وَجَبْتُ، وَجَبْتُ، وَمُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأَتَنِي عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: وَجَبْتُ، وَجَبْتُ، وَجَبْتُ. قَالَ عُمَرُ: فَدَى لَكَ أَبِي وَأُمِّي، مُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأَتَنِي عَلَيْهَا خَيْرًا فَقُلْتُ: وَجَبْتُ، وَجَبْتُ، وَجَبْتُ، وَمُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأَتَنِي عَلَيْهَا شَرًّا، فَقُلْتُ: وَجَبْتُ، وَجَبْتُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ أَتَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا، وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ أَتَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا، وَجِبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ»^(١).

إنَّ الموت ينقل الإنسان من دار الدنيا إلى دار الآخرة، حيثُ يُحْمَلُ الموتي على الأكتاف؛ لينتقلوا إلى جوار ربِّهم، وكلٌّ منهم يحمل ما قدَّم في دنياه، ويترك الأموال، والأولاد، والقصور والدور؛ فالموت نهاية كل حي، وما الدنيا إلا متاع وغرور؛ **قال تعالى:** ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ الحديد: ٢٠.

ويقول الشاعر:

بين عَيْنِي كُلِّ حَيٍّ عِلْمُ المَوْتِ يَلُوح
لَتَمُوتَنَّ وَإِنْ عَمَّرْتَ مَا عَمَّرَ نوح

فما مصير الإنسان بعد الموت؟ وهل من مؤشرات تدل على ذلك المصير؟

■ شرح الحديث:

نعين مع رسول الله ﷺ، وصحابته الكرام حال جنازتين، صاحب الجنازة الأولى: آمن بالله، وعمل صالحاً، وترك بصمات تدل على أنه من أهل الخير، فيسرَّ الله له بعد موته مَنْ شهد له بأعماله الصالحة، وصفاته الطيبة، وذَكَرَهُ الحَسَنَ، فكان ماله رضوان الله تعالى وجنته.
وأما صاحبُ الجنازة الثانية، فلم يكن من أهل الإيمان والخير، بل اغترَّ بهذه الدنيا، وأتبع هواه، حتى صرعه الموت، ثم حمل على الجنازة، وهنا شهد له الناس بالشرِّ الذي كان عليه؛ فكان ماله عذاب الله وسخطه.

١ صحیح البخاری: کتاب الشهادات، باب تعديل کم يجوز. ومسلم کتاب الجنائز، باب فیمن ثنی علیہ خیرٌ أو شرٌّ من الموتي. واللفظ لمسلم.

وقد أخبر رسول الله ﷺ ببيان صريح أن يوم الجنائز يوم فاصل في الحكم على الناس؛ حيث تظهر حقيقة الإنسان جليّة واضحة، وتنطلق كلمة الحقّ من أفواه الناس؛ فيظهر ما لكلّ فرد في قلوب العباد من محبة، أو كره؛ فالناس في هذه اللحظات التي مات فيها العبد لا تخشى من سطوته وجبروته؛ لأنّه فقد كلّ شيء، فتتلق الألسنة بالحقّ دون خوف، أو وجل.

ويفهم من قوله ﷺ: «مُرَّ بجنّازة، فأثني عليها خيراً، فقال نبيّ الله: وجبت، وجبت، وجبت»، أن الله -عزّ وجلّ- إذا أراد أمراً ألقى في قلوب عباده القبول لهذا الأمر، فالذي يحبه الله في حياته، أو بعد مماته ييسر له من عباده مَنْ ينشر ذكره الحسن بين الناس، والعكس صحيح، حيث تنعكس آثار الأعمال الصالحة، أو السيئة؛ لتحدث عند الناس محبة لهذا الشخص في حياته، وبعد موته، أو كرهاً له في حياته، وبعد موته، وذلك بناءً على ما قدّم في دنياه من خير، أو شرّ، قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله تعالى إذا أحبّ عبداً دعا جبريل، فقال: إني أحبُّ فلاناً فأحبّه، فيحبه جبريل، ثمّ ينادي في السماء: إنّ الله يحبُّ فلاناً فأحبه؛ فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض عبداً دعا جبريل، فيقول: إني أبغض فلاناً فأبغضه، فيبغضه جبريل، ثمّ ينادي في أهل السماء: إنّ الله يبغض فلاناً فأبغضوه، ثمّ توضع له البغضاء في الأرض»^(١).

وهذا الحب والكره، والمدح والذم يحسب على الشخص حتى بعد مماته، ويترجم عند الله بجنة، أو نار، لذا فقد ورد أنّه ﷺ قال لما مرت عنه جنازة: «مستريح، ومستراح منه»، قالوا: يا رسول الله، ما المستريح والمستراح منه؟، فقال: العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب»^(٢).

ورود أنّه ﷺ قال في حقّ المؤمن: «يستريح من أذى الدنيا ونصّبها إلى رحمة الله»^(٣). وهذا ما أكده الرسول ﷺ بقوله: (وجبت)؛ أي وجبت له الجنة؛ وذلك تأكيد على أنّ شهادة المؤمنين هي من شهادة الله تعالى، وبهذا تظهر فائدة الثناء بالخير، والتي تعني التزكية للعبد؛ لحسن عمله وخلقه ومحبته لدينه، فالإنسان الذي يقدم الخير للناس، وينفع الناس هو الذي تقع محبته في القلوب.

وفي قوله ﷺ: «فأثني عليها شراً» فإن إطلاق كلمة الثناء في الخير هو الأصل، وإنما جاء استخدام الثناء في الشر من باب المجاز؛ لتجانس الكلام، كقوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ الشورى: ٤٠، وقوله تعالى أيضاً: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ﴾ الأنفال: ٣٠.

١ أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ومسلم: كتاب البر والصلة والأدب، باب إذا أحب الله عبداً حبه إلى عباده.

٢ متفق عليه.

٣ أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنائز، باب ما جاء في مستريح ومستراح منه.

■ حكم غيبة الميت:

ورد في الحديث أن الناس تكلموا في الميت بالسوء، وهذا من الغيبة، والصحيح أن غيبته لا تجوز إلا إذا كان واحداً من ثلاثة: كافراً، أو منافقاً، أو مجاهراً بالفسق.

فالمسلم تجوز غيبته، حين تدعو الضرورة لذلك، وغيبته هنا من قبيل الشهادة، وذلك ليتعظ فساق الأحياء، فإذا دفن في قبره طلب من الناس الكف عن ذكر مساوئه.

وقد ثبت أنه ﷺ صلى على الميت الذي أثني عليه خيراً، ولم يصل على الآخر.

■ استيضاح عمر رضي الله عنه:

قال عمر: «فدى لك أبي وأمي . . .»: هنا يستوضح عمر بكل أدب وتوقير لرسول ﷺ، فيقول: فدى لك؛ أي فداك أبي وأمي، ما الذي تقصده بقولك: (وجبت)؟، ويؤكد له رسول الله ﷺ أن الذي أثنيتم عليه خيراً، وجبت له الجنة؛ لانطلاق الألسنة بالثناء الحسن عليه، والذي وصفتموه بالشر وجبت له النار؛ لانطلاق الألسنة بدمه، حيث يكون قد غلب شره خيره.

■ من هم الذين يوافق ثناؤهم ما عند الله؟

إن المقصود بهم الصحابة وأهل الفضل والمتقون، إذا كان ثناؤهم مطابقاً لأفعال الشخص الذي أثنوا عليه، وقيل: المقصود الناس بشكل عام، فكل من مات، وألهم الله الناس، أو معظمهم الثناء عليه بالخير كان ذلك دليلاً على أنه من أهل الجنة، سواء أكانت أعماله تقتضي ذلك أم لا، فبالثناء عليه استدللنا أن الله شاء له المغفرة، وأن من ألهموا الثناء عليه بالشر كان من أهل النار، وهذا ينطبق على من انطلقت الألسنة بمدحه، أو ذمه دون إكراه، أو هوى.

وبهذا يتضح لنا أن شهادة الخلق لا يستهان بها؛ فقد ورد عن أنس رضي الله عنه: «ما من مسلم يموت، فيشهد له ثلاثة إلا وجبت له الجنة قال: قلنا: واثنان؟، قال: واثنان، ولم نسأل رسول ﷺ عن الواحد»^(١).

وورد في صحيح البخاري عن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ قال: «أيما مسلم شهر له أربعة بخير أدخله الله الجنة». قلنا: وثلاثة؟ قال: «وثلاثة». قلت واثنان؟ قال: «واثنان». ثم لم نسأله عن الواحد»^(٢).

١ أخرجه الترمذي في سننه: كتاب الجنائز، باب ما جاء في الثناء الحسن على الميت، وقال: حديث حسن صحيح.

٢ صحيح البخاري: كتاب الشهادات، باب تعديل كم يجوز.

■ يستفاد من الحديث:

- ١ استحباب تكرار الكلام المهم (وَجَبْتُ، وَجَبْتُ، وَجَبْتُ).
- ٢ محبة الناس للعبد دليل على محبة الله له، والعكس صحيح.
- ٣ عظم شأن المؤمن عند الله.
- ٤ استشعار الرهبة والهيبة عند مرور الجنائز.
- ٥ تزكية الله تعالى لأمة محمد ﷺ، حيث إنه ما أنطقهم إلا ليصدقهم.
- ٦ ثناء الناس على الميت؛ كالدعاء، والشفاعة له.

التقويم

- ١ أكتب حديث الرسول ﷺ: «مُرَّ بجنزة الحديث».
- ٢ أوضّح معنى العبارات الآتية: الجنزة، وجبت، فدى لك.
- ٣ أشرح قول الرسول ﷺ: «مُرَّ بجنزة فأثني عليها خيراً».
- ٤ أوضّح المقصود بقوله: «أنتم شهداء الله في الأرض».
- ٥ أعلل: ثناء الناس على الميت يوافق ثناء الله.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يُجصَّصَ القبر، وأن يُقعدَ عليه، وأن يُبنى عليه»^(١).

راوي الحديث:

هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي، يكنى أبا عبد الله، شهد بيعة العقبة الثانية مع أبيه، وهو صبي، لم يشهد بدرأً، ولا أحداً، فقد منعه أبوه، حيث كان وحيداً والديه، وله أخوات كثيرات. فلما استشهد أبوه في أحد لم يتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة قط، شهد صفين مع الإمام علي بن أبي طالب، وكان من المكثرين في الرواية عن رسول الله ﷺ، والحافظين للسنن، توفي رضي الله عنه في المدينة المنورة سنة أربع وسبعين للهجرة، عن أربع وتسعين سنة. وقد صلى عليه أبان بن عثمان، وكان حينها أميراً على المدينة، وجابر آخر من مات بالمدينة ممن شهد العقبة.

■ نهى الإسلام البناء على القبور سدً لذريعة الشرك:

كانت الرسل قبل الإسلام تُبعث للناس في فترات متعاقبة؛ لهداية الناس إلى خالقهم وتصحيح مساراتهم تجاه الدين والشرائع السماوية، فكان من الناس من استجاب لدعوة الأنبياء عليهم السلام، والتزم درب الصلاح، وتقوى الله عز وجل، فاقتفى آثار الرسل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فحظي أمثال هؤلاء بالمحبة والاحترام والإجلال من مجتمعاتهم؛ لما أحبوه فيهم من تقوى وحسن عبادة لله، والتزام بأوامره، حتى إذا مات أمثال هؤلاء الصالحين أخذ يزور الناس قبورهم، ويتبركون منهم ثم يبنون عليها البنين، ويتخذونها مزارات يصلون عندها، ويتهللون إلى الله بالدعاء بقربها، ومع مرور الزمن، وانحسار العلم وانتشار الجهل، يُعبد أصحاب هذه القبور من دون الله تعالى.

ولما كانت الشريعة الإسلامية خاتمة الشرائع، وآخر الرسالات السماوية إلى الأرض، كان لا بد من أن تتضمن منهجاً وطريقة حياة وفلسفة سلوك، بحيث لا يعود الناس إلى ما كانوا عليه من جهل وضلال وشرك باتخاذهم قبور الصالحين مزارات، ومواقع يمارس فيها الشرك بالله، ويتجه إليها في العبادة من دون الله، ولهذا نهى الإسلام عن إشهار القبور وتجصيصها والبناء عليها، بل ونهى عن الكتابة عليها، ومنع

١ أخرجه مسلم: كتاب الجنائز، النهي عن تجصيص القبور والبناء، ح ٩٤.

الصلاة عليها وإليها، كل ذلك ليبقى الناس ثابتين على عقيدة التوحيد، وبعيدين عن الشرك والوثنية، فينأوا بأنفسهم عن الضلال والتهيه فكرياً وسلوكياً.

■ تكريم الإسلام للإنسان حياً وميتاً:

لقد كرم الإسلام الإنسان المسلم حياً وميتاً؛ فكرمه حياً بأن حفظ دمه، وشدد في ذلك تشديداً عظيماً، كما سبق معنا، فنهى عن قتله، وإهدار دمه، وأوجب القصاص فيمن قتل غيره؛ **قال تعالى:** ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ **البقرة: ١٧٩**، ونهى عن ظلم المسلم، أو التعرض له بالأذى، أو إيقاع الضرر به؛ جاء في الحديث القدسي: «يا عبادي إنني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا»^(١)، وقال صلوات الله عليه: «لا ضرر، ولا ضرار»^(٢)؛ أي لا ضرر ولا ضرار بالمسلم، إذ جعل عدم التعرض له من شروط كمال الإسلام؛ **قال ﷺ:** «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»^(٣).

وكرم الإسلام المسلم ميتاً، فأمر بغسله وتكفينه في ثياب حسنة، والستر عليه بدفنه، والمحافظة على آثاره، ونهى عن العبث بقبره، أو الجلوس أو الاتكاء عليه؛ جاء في الحديث الذي رواه أبو هريرة **رضي الله عنه** عن **رسول الله ﷺ:** «لأن يجلس أحدكم على جمرة؛ فتحرق ثيابه، فتخلص إلى جلده، خير له من يجلس على قبر...»^(٤).

وحرم الإسلام كسر عظم الميت؛ **فقال ﷺ:** «كسر عظم الميت؛ ككسر عظم الحي»^(٥)، حيث اعتبر الشارع الحكيم الاعتداء على حرمة القبور اعتداء على الأموات؛ فجعل حرمة القبور من حرمة أصحابها. لكن ذلك لا يعني بحال تقديس القبر، أو صاحبه؛ إذ لا يجوز التمسح بحجارة القبر، أو ترابه، أو التوجه إلى صاحب القبر بدعاء أو نذر، إنما التوجه في كل ذلك لله رب العالمين، وحده لا شريك له.

■ تقليد المسلمين غيرهم من الأمم في البناء على القبور:

إن مما يؤسف له ما نراه اليوم في مقابر المسلمين من تشييد للقبور والبناء عليها وتخصيصها، بل وهناك من يذهب إلى ما هو أكثر من ذلك؛ فيبنها بالرخام، ويزينها ويجملها، وينقش عليها الكتابات المتعددة، والذي حدا بالمسلمين لفعل ذلك هو تقليد سواهم من الأمم الأخرى، حيث تبني هذه الأمم على قبور

١ رواه مسلم: كتاب البر والصلة والأدب، باب تحريم الظلم.
٢ أخرجه مالك في الموطأ: كتاب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره.
٣ أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.
٤ رواه مسلم في صحيحه: كتاب الجنائز، باب النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليه، ح ٩٦.
٥ أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الجنائز، باب في الحفار يجد العظم...، وأخرجه مالك في الموطأ: كتاب الجنائز، باب ماجاء في الاختفاء.

موتها الأبنية الفاخرة، فرأى المسلمون ذلك فقلدوه، وصدق فيهم قول رسول الله ﷺ: «لتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم، قالوا: اليهود والنصارى؟»، قال: «فمن؟»^(١)، ونحن أمة متميزة لا يجوز لنا تقليد الآخرين، فيما يتعارض والأحكام الشرعية، أو مما فيه مخالفة لنص من كتاب الله، أو سنة، أو إجماع.

■ ما الموقف من القبور المبنية بالحجارة أو الرخام؟

إذا كان هناك نهي عن تخصيص القبور والبناء عليها، فما الموقف الشرعي من القبور المبنية من الحجارة أو الرخام أو الاسمنت؟

الأصل في هذه القبور أن تسوى بالأرض، ودليل ذلك: ما رواه الإمام مسلم في صحيحه، بسنده عن أبي الهياج الأسدي، قال: قال لي علي بن أبي طالب: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: ألا تدع مثلاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته»^(٢).

وينبغي ألا يرفع القبر عن الأرض رفعاً كثيراً؛ فيرفع قدر شبر، غير أن إزالة البناء عن القبور تحتاج إلى حكمة وأناة، بحيث لا تحدث فتنة، ومفسدة أعظم من المفسدة المترتبة على بقائها مبنية، وإنما يُذكر الناس بالحكم الشرعي، وينصحوا، ويهيأ رأي عام في المجتمع قبل الإقدام على هذا الأمر؛ وذلك لأن التزام الناس بالأحكام الشرعية متفاوت، والأصل في مثل هذه الأمور أن تتولاها الدولة، حتى تقطع دابر كل فتنة.

التقويم

- ١ أقرأ الحديث الشريف السابق غيباً.
- ٢ أعرف براوي الحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.
- ٣ أستخلص من خلال المحتوى التعليمي ضوابط هدم القبور المبنية.
- ٤ أعلل ما يأتي:
 - أ نهي الإسلام البناء على القبور.
 - ب تكريم الإسلام للمسلم حياً، وميتاً.

١ أخرجه البخاري: كتاب الاعتصام، باب قول النبي ﷺ: «لتبعن سنن من كان قبلكم»، ومسلم: كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى.
٢ أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبور، ح ٩٣.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما تصدَّق أحدٌ بصدقة من طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، إلا أخذها الرحمن بيمينه، وإن كانت تمرّة، فتربو في كفّ الرحمن، حتى تكون أعظم من الجبل كما يُرَبِّي أحدكم فُلُوهُ، أو فصيله». (١)

راوي الحديث:

أبو هريرة: هو عبد الرحمن صخر الدؤسي، صحابي جليل، كناه النبي ﷺ بأبي هريرة؛ لأجل هرة كان يحمل أولادها، روى الكثير من أحاديث النبي ﷺ، وكان من أحفظ الصحابة، وأكثرهم رواية، وقد حضر مجلساً للنبي ﷺ فقال فيه: «مَنْ يبسط رداءه حتى أفضي مقالتي، ثم يقبضه فلن ينسى شيئاً سمعه مني»؛ فبسطت بردةً كانت عليّ فو الذي بعثه بالحق ما نسيت شيئاً سمعته منه (٢)، روى عنه أكثر من ثمانمئة من أهل العلم من الصحابة، والتابعين، وغيرهم، توفي سنة ٥٧ هـ.

شرح الحديث:

الصدقة من المال الحلال:

إنّ الصدقة من أفضل القربات التي يتقرب بها المسلم إلى ربه سبحانه وتعالى، ولذلك ينبغي أن تكون طيبة، والمقصود بالطيب هنا: الحلال، وهذا الأليق بالمسلم، فإنه لا يتقرب إلى الله بالحرام، وذلك لسببين:

- الأول: أنّ الله تعالى طيب، لا يقبل إلا طيباً، كما ورد في الحديث: «أيها الناس، إنّ الله طيب، لا يقبل إلا طيباً» (٣)، والمعنى أنّ الله تعالى منزّه عن النقائص، فكيف يليق به أن يقبل الصدقات الملوثة بالحرام الذي هو نقيصة وعيب؟
- الثاني: أنّ الله تعالى أمر الناس بأن يجتنبوا المال الحرام، فكيف يأمرهم باجتناّب الحرام، ثمّ إذا قدموه إليه قبله؟

١ رواه مسلم: كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب برقم ٢٣٣٩.

٢ رواه البخاري: كتاب الاعتصام، باب الحجّة على من قال إن أحكام... .

٣ أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب برقم ٦٥.

■ فضل الصدقة:

يبين الحديث أنّ الله تعالى يتقبل الصدقات من عباده، وإن قلت، فهو لا يكلف الناس فوق طاقتهم؛ **قال تعالى:** ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ البقرة: ١٨٥، والمسلم يتصدق بما تيسر عنده، فيتقبله الله تعالى وإن كان قليلاً؛ لأنه يعلم صدقه، ويعلم أنه لو ملك أكثر؛ لتصدق. ويضرب الحديث مثلاً لقليل الصدقة بالتمر؛ فالتمر وإن قلّ ثمنها، أو استصغرها الناس، إلا أنّ الله تعالى يتقبلها ويضاعفها.

وقد وجه النبي ﷺ أمته إلى ضرورة اتقاء النار بالصدقات، **فقال ﷺ:** «فاتقوا النار، ولو بشق تمرة»^(١). وقد سجّل القرآن استهزاء المنافقين بصحابة النبي ﷺ عندما جاء أحدهم بنصف صاع، وجاء آخر بشيء أكثر؛ فقال المنافقون: إنّ الله لغني عن صدقة هذا، وما فعل هذا الآخر إلا رياء؛ فنزل **قوله تعالى:** ﴿الَّذِينَ يَكْمُرُونَ الْمُطَوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ التوبة: ٧٩^(٢). ولا يفهم من النصوص السابقة تفضيل الصدقة اليسيرة على غيرها، بل المعنى: أنّ الله تعالى يتقبل الصدقة، مهما صغرت، مراعاة لحال المتصدق، ومن باب أولى يتقبلها إذا كانت كبيرة إذا صلحت نيّة المتصدق، وكانت الصدقة من حلال.

■ مضاعفة الأجور:

يُظهر الحديث أنّ فضل الله تعالى على الإنسان عظيم، فهو سبحانه يضاعف أجور الصدقات، فينميها ويضاعفها، حتى تصبح كالجبل، وانظر -رحمك الله- إلى نصّ الحديث: «فتربو في كف الرحمن، حتى تكون أعظم من الجبل»؛ فالله تعالى يعتني بها بنفسه، ولا يتركها لأحد من خلقه؛ ليتوكل بالعناية بها؛ كالملائكة مثلاً. ويشبه النبي ﷺ في هذا الحديث تنمية الصدقات ومضاعفتها بتربية الحيوان الصغير الرضيع الذي يتعاهده صاحبه؛ فيطعمه ويسقيه، ويعتني به حتى يكبر ويعظم حجمه؛ **فقال ﷺ:** «كما يربي أحدكم فلؤه، أو فصيله».

أتعلم:

الفلوّ: هو المهر، وسمي بذلك لأنه فلي عن أمه؛ أي فصل وعزل. والفصيل: ولد الناقة إذا فصل من إرضاع أمه.

١ رواه مسلم: كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة برقم ٦٧.
٢ رواه مسلم في صحيحه: كتاب الزكاة، باب الحمل أجرة يتصدق بها برقم ٧٢.

وخص النبي ﷺ المهر، وولد الناقة بالذكر؛ لأنّ النمو فيها واضح بين سريع، وهي من أغلى وأعز ما يملكه العربي في ذلك الزمان، وفي رواية الحديث عند الترمذي: «حتى إنّ اللقمة لتصير مثل أحد»^(١).

■ ما الذي يضاعف في الصدقة؟

- بالنظر في نصّ الحديث وغيره من النصوص المشابهة تجد أنّ مضاعفة الصدقة يحتمل معنيين:
- الأول: أنّ الله تعالى يضاعف الأجر والثواب، ويزيد في الحسنات، وتؤيده النصوص الكثيرة التي تدلّ على مضاعفة الحسنات؛ **قال تعالى**: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة: ٢٦١.
 - والثاني: أنّ الأجر يبقى على ظاهره، وأنّ الصدقة نفسها هي التي تتضاعف، وبارك الله تعالى فيها، ويزيد المتصدق من فضله؛ **قال الله تعالى**: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ البقرة: ٢٧٦.

■ منهج القرآن في مضاعفة الأجر:

لا تقتصر نعمة المضاعفة في الأجر على الصدقات، بل إنّ من رحمة الله تعالى بالمسلم أنّ كلّ الأعمال الصالحة تُضاعف، والحديث يتكلم عن الصدقة؛ لأهميتها، أو على سبيل المثال لا الحصر.

وقد كثرت الأحاديث في بيان مضاعفة الأجر؛ كمضاعفة أجر قارئ القرآن الذي جعل الله له بكلّ حرف حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: **قال ﷺ**: «كلّ عمل ابن آدم يضاعف، الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله عز وجل: «إلا الصوم، فإنه لي، وأنا أجزي به»^(٢)، فالأعمال قد كُشفت مقادير ثوابها للناس، فهي تضاعف من عشرة إلى سبعمائة ضعف إلى ما شاء الله، إلا الصيام، فإنّ الله يثيب عليه بغير تقدير.

١ أخرجه الترمذي في سننه: كتاب الزكاة، باب ما جاء في فضل الصدقة، وقال حديث حسن صحيح.
٢ أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الصيام، باب فضل الصيام، ح ١٦٤.

- ١ أكتب الحديث الشريف: «ما تصدق أحد بصدقة . . . الحديث» .
- ٢ أضع دائرة حول رمز الأجابة الصحيحة فيما يأتي :
- أ الذي يضاعف في الصدقات :
- ١ الصدقة ذاتها ، أو أجرها
- ٢ نية المتصدق
- ٣ الصدقات المائيّة فقط
- ب في الحديث الشريف تفضيل ل:
- ١ الصدقة الصغيرة على الكبيرة
- ٢ الصدقة الكبيرة على الصغيرة
- ٣ الصدقة إذا كانت من الحلال ، واقرنت بالإخلاص لله تعالى .
- ٣ أعلل ما يأتي :
- أ ورود لفظ الفلُّو ، والفصيل في الحديث دون باقي الحيوانات .
- ب لا يقبل الله إلا الطيب .
- ٤ أشرح النص : «فتربو في كف الرحمن» .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لأنَّ يَغْدُوَ أَحَدُكُمْ فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَتَصَدَّقَ مِنْهُ، وَيَسْتَغْنَى بِهِ عَنِ النَّاسِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ رَجُلًا أَعْطَاهُ، أَوْ مَنَعَهُ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا أَفْضَلُ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ»^(١).

شرح الحديث:

هذا حديث شريف، فيه توجيه نبوي إلى طائفة من المسلمين ربما يحوجها العوز والفاقة أن تسأل الناس، أعطوهم أو منعوهم، حيث وجههم الرسول ﷺ، إلى العمل، مهما كان بسيطاً، أو شاقاً؛ قال **تعالى**: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ **التوبة: ١٠٥**؛ ففي العمل إرضاء لله تعالى، وتحقيق لحاجات الإنسان، وإسهام في عمارة الأرض وتحقيق للخلافة فيها؛ قال **تعالى**: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ **البقرة: ٣٠**، والإسلام لا يقبل أن يكون المسلم عالة على غيره، غير فاعل في مجتمعه، بل يوجهه؛ ليكون عنصراً فاعلاً ببناءً.

الحض على العمل وعدم سؤال الناس:

قوله ﷺ: «لأنَّ يَغْدُوَ أَحَدُكُمْ فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَتَصَدَّقَ مِنْهُ، وَيَسْتَغْنَى بِهِ عَنِ النَّاسِ»، الغدو: السير في أول النهار، وفي هذا توجيه نبوي للمسلمين عامة، وللمحتطب خاصة بالتبكير في الخروج إلى العمل؛ لأنه وقت مبارك فيه؛ **لقوله** ﷺ: «اللهم بارك لأمتي في بكورها»^(٢).

وفي الحديث مباركة للعمل، وحض عليه ولو كان ذلك العمل في نظر الناس قليل الشأن، بأن يجمع الإنسان الخطب فيحمله على ظهره؛ وقد أبرز الحديث فائدتين ظاهرتين للعمل:

- الأولى: أنه يعين المرء على الصدقات، ويفهم ذلك من **قوله** ﷺ: «فيتصدق منه»، وفي تقديم الصدقة بيان لأهميتها ومكانتها.

- الثانية: الاستغناء والنفقة على العيال، ويفهم ذلك من **قوله** ﷺ: «ويستغني به».

وفي **قوله** ﷺ: «خيرٌ له من أن يسأل رجلاً أعطاه، أو منعه ذلك» بيان أن ما يلحق المرء من مشقة الغدو، والاحتطاب، مع ما فيه من امتهان به نفسه، ومع ما يلحق بالمرء من مشقة وصعاب، خيرٌ له من المسألة.

١ أخرجه مسلم: كتاب كراهة المسألة للناس.

٢ أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الجهاد، باب في الابتكار في السفر، والترمذي في سننه: كتاب الزكاة، باب ما جاء في النهي عن المسألة، وقال: حديث حسن صحيح غريب.

وفي هذا الحديث حُضٌّ على التعفف عن المسألة، والتنزُّه عنها، ولو امتهن المرء نفسه في طلب الرزق، ولولا قبح المسألة في نظر الشرع لم يفضل ذلك عليها؛ وذلك لما يدخل على السائل من ذل السؤال، ومن ذل الرد إذا لم يُعطَ، ولما يدخل على المسؤول من الضيق في ماله، إن أعطى كلَّ سائلٍ؛ لأنَّ حال المسؤول إمَّا العطاء، ففيه المنَّةُ وذلُّ السؤال، وإمَّا المنع ففيه الذلُّ والخيبة والحرمان، وقد بلغ من حرص بعض السلف على البعد عن المسألة أنه إذا سقط من أحدهم سوطه لا يسأل من يناوله إياه.

■ اليد العليا خير من اليد السفلى:

إنَّ اليد العليا هي يد المعطي المنفقة، واليد السفلى هي السائلة الآخذة، واليد المتصدقة - كما هو ظاهر من نص الحديث - أفضل من اليد السائلة، وفي هذا تنفير من السؤال.

■ أولوية الإنفاق على العيال:

قوله ﷺ: «وابدأ بمن تعول»: خطاب للمنفق؛ أي: ابدأ في الإنفاق على أسرته، ومَنْ تَلَزَمَكَ نفقته من عيالك، فإن فَضَّلَ شيءٌ فلغيرهم.

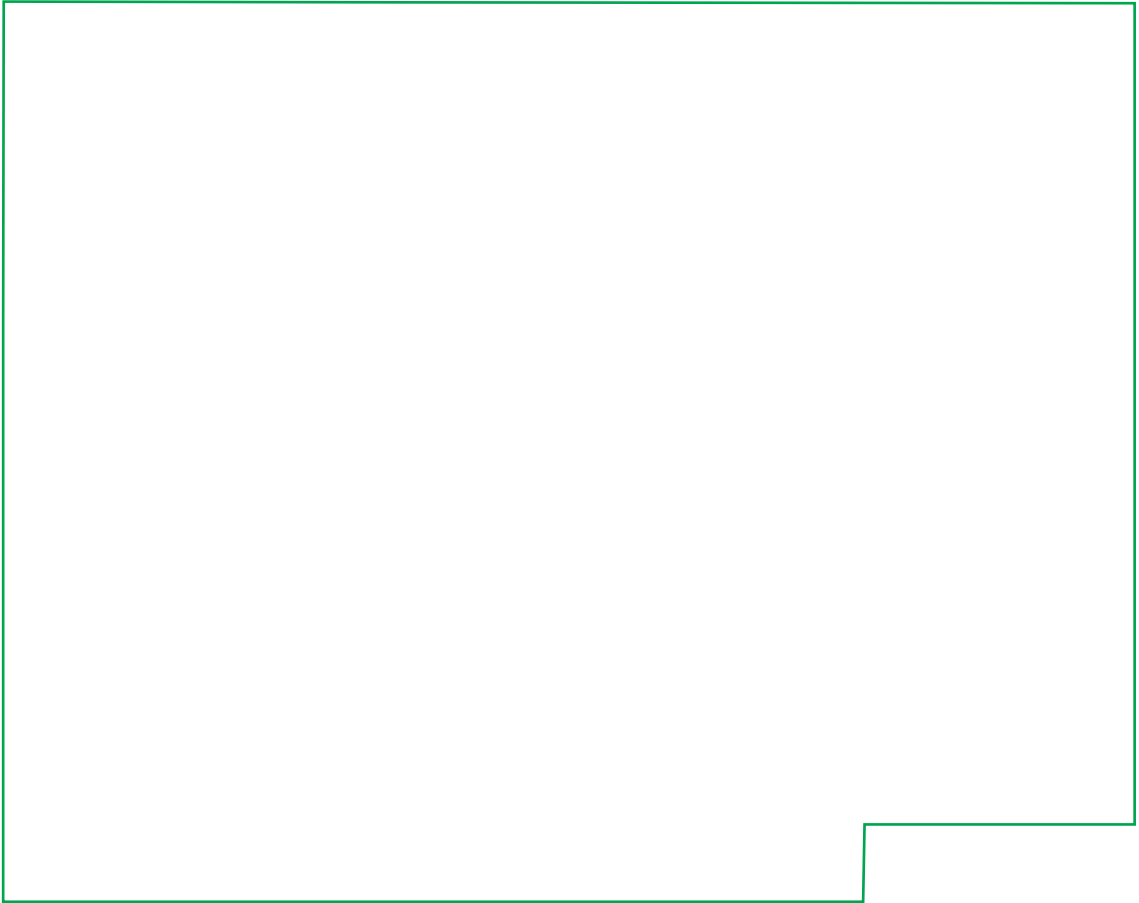
■ يستفاد من الحديث:

- ١ الحُضُّ على التعفف عن المسألة، والتحذير من الاستجداء بسؤال الناس.
- ٢ التحريض على الأكل من عمل اليد، والاكْتِسَاب من المباح.
- ٣ أهمية الصدقة في الإسلام.
- ٤ إلزام الرجل بالنفقة على أسرته، ومَنْ تَلَزَمَهُ نفقته.
- ٥ حرص الإسلام على تكريم الإنسان بتوجيهه إلى العمل، وتحذيره من ذلِّ السؤال.

التقويم

- ١ أكتب الحديث الشريف: «لأن يغدو أحدكم الحديث».
- ٢ أشرح العبارة الآتية: في النهي عن المسألة تكريم للإنسان.
- ٣ استخلص من الحديث النبوي الشريف فائدتين للعمل.
- ٤ أذكر أربع فوائد مستفادة من هذا الحديث.

الفصل الدراسي الثاني



عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَإِنْ قَضَيْتُ لِأَحَدٍ مِنْكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ، فَلَا يَأْخُذُ مِنْهُ شَيْئاً.»^(١)

يحرص الرسول ﷺ على تربية المؤمنين على الصدق والعفاف، وعدم أكل حقوق الناس، ويزرع فيهم بذور تقويم أنفسهم ومحاسبتها، قبل أن ينقلبوا إلى الله تعالى للحساب الأكبر؛ فقد جاء هذا الحديث ليوضح أنّ الخصام بين البشر واقع لا محالة، لتفاوت الناس في درجات الإيمان والتقوى، وتفاوتهم في مستويات الفهم ومعالجة الأمور، وبالتالي يحثهم على خشية الله، حتى يحققوا السعادة في الدنيا والآخرة.

■ شرح الحديث:

■ بشرية الرسول ﷺ:

في قوله ﷺ: «إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ» تأكيد على أن الرسول ﷺ بشر مثل كل الناس، فهو يجري الأحكام، ويقضي بين الناس على الظاهر، ومن خلال ما يقدم له من بينات ودلائل؛ فيحكم بالبيّنة، واليمين، وغير ذلك من الأحكام الظاهرة، فهو واحد من البشر في عدم علمه بالغيب، إلا ما يطلع الله عليه، وأنه لا يلجأ للوحي لمعرفة بواطن الأمور في قضايا فضّ النزاعات بين الناس، وغيرها من الأمور الدنيويّة؛ لذا فهو يزرع في الناس مراقبة الله تعالى في أقوالهم، وأفعالهم، فالله هو العليم بما يخفون وما يعلنون.

لذا، فهو ﷺ يحثّ الناس على الخوف من الله، والصدق في السرّ والعلن، وقول الحقّ، والتأكد من الأمور قبل اللجوء للقضاء؛ لأنّ الله تعالى عليم بسرّات عباده، لا تخفى عليه خافية، ويحذرهم من الكذب الصريح الواضح، وينهاهم عن سلوك الطرق الملتوية؛ لينال الواحد منهم حظاً زائلاً من الدنيا بغير حقّ، بل بظلم الآخرين، وأكل حقوقهم، بل إن البعض يقلب الحقّ باطلاً، والباطل حقّاً بطلاقة لسانه، وحسن منطقته، وقدرته على إظهار حجته.

١ رواه الترمذي: كتاب الأحكام، باب موعظة الإمام للخصوم. ومسلم في كتاب الأفضية، باب الحكم بالظاهر واللعن بالحجة. الترمذي: كتاب الأحكام، باب ما جاء في التشديد على من يقضي بشيء ليس له أن يأخذه.

ولو شاء الله تعالى لأطلع رسوله الكريم ﷺ على بواطن أمر الخصوم؛ فكشف حقائق المتخاصمين، عن طريق الوحي، لكن لما كان الرسول ﷺ قدوة لأُمَّته، والأمة مأمورة باتباعه، أجرى الله تعالى عليه أحكام البشر في عدم الاطلاع على بواطن الأمور؛ لبيني أحكامه وقضائه على الظاهر من الدلائل والبيّنات، فيسهل الاقتداء به والأخذ عنه.

■ التحذير من استغلال البلاغة لظلم الآخرين:

لقد أعطى الله بعض الناس نعمة البلاغة، وطلاقة اللسان، فيكون هذا الإنسان أقدر على بيان مقصوده؛ لوضوح كلامه، وقدرته على الإتيان بالحجج والبيّنات، مستغلاً ما أنعم الله عليه من نعمة طلاقة اللسان، وسرعة البديهة؛ وذلك لأنّ الحكم بين الناس يقع على ما يُسمع من الخصمين بما تَلَفَّظوا به، وإن كان يمكن أن يكون في قلوبهم غير ذلك، وفي هذا السياق جاء قوله ﷺ: «ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فإن قضيت لأحد منكم بشيء من حق أخيه، فإنما أقطع له قطعة من النار، فلا يأخذ منه شيئاً...»؛ لينبه إلى أنّ البلاغة، والفظنة، وسرد الحجج من بعض الناس أثناء مخاصمتهم لغيرهم لا يفيدهم بشيء أمام الحق الذي يعلمه الله - سبحانه وتعالى -، والذي قد يكون مخالفاً لما أثبتته الحجج الظاهرة.

■ حكم القاضي لا يحلّ الحرام:

فمن قضى له رسول الله ﷺ، أو القضاء، أو المحاكم في أي مكان بشيء بحسب الظاهر، أو الحجة التي ساقها، وهو في الباطن لا يستحق هذا الشيء، فهو حرام يدخله النار، حتى لو فاز بهذا الأمر عن طريق القضاء. «فإنما أقطع له قطعة من النار»، ومن هذا التمثيل تفهم شدة العذاب على من يقع في هذا الجرم، ويوضح ذلك ما رواه أبو أمامة عن رسول الله ﷺ: «من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرّم عليه الجنة فقال له رجل: وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟، قال: وإن قضيباً من أراك»^(١)؛ أي عوداً من سواك.

ومن هنا، يظهر لنا أنّ حكم الحاكم لا يُحقّ الباطل، ولا يحلّ الحرام، فمن شهد له شاهد زور بما، فحكم له الحاكم بذلك؛ فالمال حرام عليه، قلّ هذا المأل أو كثر، فلو أخذ شيئاً يسيراً لا يتعدى عود السواك فسيحاسب عليه، وكلما زاد ما أخذه ظلماً، زاد عذابه؛ قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾^(٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ. الزلزلة: ٧-٨.

١ أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فأجره النار، ح ٢١٨.

■ استفاد من الحديث:

- ١ إثم مَنْ خصم في باطل ، حتى ولو حكم له القضاء بذلك .
- ٢ إنَّ المجتهد قد يخطئ ، ولكن لا يلحقه إثمٌ ، بل يؤجر .
- ٣ النبي ﷺ يحكم بالاجتهاد فيما لم ينزل فيه وحي .
- ٤ الحكم بين الناس يقع على ما يُسمع من الخصمين من أدلة وبيّنات .
- ٥ ضرورة الاستماع لأطراف الخصومة جميعاً .
- ٦ حكم القاضي أو الحاكم لا يُحرّم حلالاً ولا يحلّ حراماً .

التقويم

- ١ أكتبُ حديث الرسول ﷺ: «إنكم تختصمون . . . الحديث» .
- ٢ أوضّح المقصود من قوله ﷺ: «إنكم تختصمون إليّ ، وإنما أنا بشر» .
- ٣ ما الحكم فيمن أخذ بطريق القضاء حقّ أخيه المسلم؟
- ٤ أذكر ثلاثة أمور يرشد إليها الحديث الشريف .

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «ألا كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيته، فالإمام الذي على الناس راعٍ وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعيةٌ على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولةٌ عنهم، وعبدُ الرجلِ راعٍ على مالِ سيده وهو مسؤولٌ عنه. ألا كلُّكم راعٍ كلُّكم مسؤولٌ عن رعيته»^(١).

راوي الحديث:

هو عبدالله بن عمر بن الخطاب القرشيّ العدويّ. أسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم، غير أنه هاجر الى المدينة المنورة قبل أبيه، لم يشهد بدرأً لصغر سنه، وأول مشاهدته غزوة الخندق، كما شهد مؤتة، واليرموك، وفتح مصر، وإفريقية.

كان كثير الاتباع لآثار رسول الله ﷺ، حتى إنه كان ينزل في الأماكن التي نزل فيها، ويصلي في كل مكان صلى فيه الرسول ﷺ، كما كان شديد الاحتياط والتوقي لدينه في الفتوى.

وقد سار مع الدينا سيرة أبيه الفاروق، قال جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: ما منا إلا من مالت به الدنيا ومال بها، ما خلا عمر وابنه عبدالله.

روى عن رسول الله ﷺ وأكثر في الرواية، كان كثير الحج كثير الصدقة، توفي رضي الله عنه سنة ثلاث وسبعين للهجرة وله ست وثمانون سنة.

شرح الحديث:

أهمية المسؤولية

إنّ المسؤولية في المجتمع أمانة جليلة ومهمة جسيمة أوّلاها الإسلام عناية كبيرة، ورعاية مميزة. فيها يسعد المجتمع ويتطور ويتقدم ويأمن على نفسه، ويتحقق له الخير في جميع الوجوه، ومن خلالها يعرف كل فرد واجبه المناط به فيقوم به على الوجه المطلوب، فلا تجدد في المجتمع ثغرات أو تقصيراً أو تفريطاً تضع سببه حقوق الناس، وتتغيب العدالة وينتشر الظلم وتقع الجريمة والخطيئة.

١ أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأحكام، باب قول الله تعالى: «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول».

■ تنوع المسؤوليات وتوزيعها:

إن هذا الحديث النبوي الشريف يعتبر من أعظم وأهم الأحاديث الشريفة جميعاً، يأمر بالمسؤولية ويحضُّ على تحملها بكل إخلاص وعطاء، وهو في معرض التوجيه والإرشاد وبيان الواجبات الملقاة على كل أفراد المجتمع، وأن ليس من فرد يخلو من المسؤولية والمحاسبة، وكل يحمل منها على قدر مكانته وموضعه في المجتمع.

وفي هذه التوجيهات مناط نجاح المجتمعات، وسبب تطورها وسعادتها، وإعلاء شأنها بين الأمم والمجتمعات البشرية.

وقد ذكر الرسول الكريم ﷺ نماذج من المسؤولية فبدأ بأعلاها شأنًا وأكثرها وأعظمها أهمية وأثراً في المجتمع.

■ أولاً: مسؤولية الحاكم:

لا شك أن هذه أرفع وأعظم وأهم المسؤوليات، فالحاكم هو الذي يقوم على تطبيق الشريعة الإسلامية، وحماية الدين الحنيف ما يناقض عقائده وأحكامه وقوانينه، ويتولى نشر السنة وقمع البدعة، كما يقوم على تطبيق حدود الله، ونشر العدل بين الناس، ورفع الظلم عن المظلومين، ويقوم بأمر الجهاد في سبيل الله، وحماية الأوطان الإسلامية مما يتهدها من أخطار، والدفاع عن المسلمين من كل شر أو ظلم يقع عليهم من أعدائهم.

كما أن الإمام يحافظ على حقوق الناس فلا يسمح لأحد بالتعدي أو التجاوز فينتصر للمظلوم وإن كان ضعيفاً، ويوقف الظالم عند حده ولو كان قوياً، ويقوم الإمام على نشر الأمن والأمان في المجتمع، ويعمل على تحقيق السعادة لكل أفراد بغض النظر عن مكانتهم وموقعهم وشأنهم المجتمعي.

ومما لا ريب فيه أن الرعية عند الحاكم أمانة وأية أمانة، جاء في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ، **قال:** «ما من عبد استرعه الله رعية فلم يحطها بنصحه إلا لم يجد رائحة الجنة»^(١).

■ ثانياً: مسؤولية رب الأسرة:

أناط الإسلام بالرجل مسؤولية الأسرة، والقيام على شأنها، ورعاية أفرادها بنين وبنات وزوجة وكل من هم تحت يده وفي ظلاله، فالأسرة هي النواة الصلبة للمجتمع، فإذا صلحت صلح المجتمع، وإذا فسدت فسدت المجتمع.

١ رواه البخاري في صحيحه: كتاب الأحكام، باب من استرعي رعية فلم ينصح.

ولا تقف مسؤولية الأب عند رعاية الأبناء والأسرة عموماً، من حيث المأكل والمشرب والملبس وحسب، بل هناك المسؤولية التربوية من إعداد البنين إعداداً سليماً وتربيتهم تربية صالحة خيرة، وتوجيههم نحو المعالي والقيم والأخلاق الكريمة والسلوك القويم. وضرورة الاهتمام بهم من حيث التربية الدينية والتنشئة على الأعمال الصالحة، وطاعة الله سبحانه والوقوف عند حدوده، والنأي بهم عن المعاصي والموبقات وكبائر الذنوب، وبناء علاقاتهم على أسس العدالة والتسامح والعفو.

■ ثالثاً: مسؤولية المرأة:

أولى الإسلام عناية كبيرة بالمرأة، ورفع من شأنها وقدرها وأهلها للمكانة التي تليق بها، وبوأها في الحياة منصباً جليلاً، وكرمها أمماً وبتناً وأختاً وزوجة وعمة وخالة.

والمرأة تشكل العمود الفقري للمجتمع، وهي التي تتولى أعظم مهمة في البيت بعد الرجل، من القيام على أبنائها ورعاية شؤونهم وهم أجنة في بطنها، وبعد ولادتهم حتى يكبروا ويتحملوا المسؤولية، ويصبحوا رواداً وقادة في المجتمع.

وكما أن مسؤولية الرجل في بيته لا تقف عند حدود المأكل والمشرب والملبس، فكذلك المرأة أيضاً، إذ يتعدى واجبها الأسري والتربوي هذه الحدود إلى التوجيه والتقويم والتربية والإرشاد فلا يصح للمرأة أن تعتني بالأبناء من الجوانب المادية، وتهمل الجوانب القيمية والسلوكية التي من شأنها أن تنشئ الأبناء التنشئة الفاضلة وتكسبهم التربية الصالحة.

والمرأة توجه أبنائها كيفما أرادت؛ لأن الأبناء بين يديها كالعجينة بين يدي الخباز يشكلها ويصنعها كيفما أراد؛ **قال ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة؛ فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»⁽¹⁾**، ومن هنا فالمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيته، ومحاسبة عليها، فالأبناء أمانة عند الأم وتحت سمعها وبصرها، وهي التي تتعامل معهم في كثير من أوقاتها وأوقاتهم، وربما تأخذ المرأة أحياناً دوراً في الأسرة من دور الرجل، بحكم الوقت الذي تقضيه مع الأبناء أكثر من الأب، وتتحمل المرأة أيضاً تجاه الرجل أمانة النصح ومسؤولية القيام بواجبها نحوه.

■ رابعاً: مسؤولية العبد أو الخادم:

لم يُعفِ الإسلام أحداً في المجتمع من المسؤولية، ولم يترك أحداً بلا أمانة يحملها وشأن يراعاه ويحاسب عليه؛ فالجميع في المجتمع المسلم يتحمل المسؤولية حتى العبد أو الخادم الذي لا يتحمل من المسؤولية إلا

١ رواه البخاري: كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه.

جزءاً يسيراً فهو مسؤول عن هذا الجزء من القيام عليه خدمة ورعاية خير قيام، فهو مؤتمن على المال والأبناء والزوجة، فطاعتهم والقيام على ما يحتاجونه من خدمة ورعاية، هو من جنس ما يناط به ويسأل عنه. وخلاصة القول في المسؤولية: لو أن كل شخص أو فرد في المجتمع عرف ماله وما عليه، وأدى ما أنيط به من مهام، وعرف ما عليه من مسؤولية وأدرك أنه سيحاسب عليها عند الله، وعند الناس، لما رأينا ترهلاً في المجتمعات، وانتشاراً للفوضى، وضياعاً للحقوق، أو ظلماً. ولو تحمل كل فرد مسؤوليته، لما رأينا للأنانية والذاتية مكاناً، ولأصبح همُّ أبناء المجتمع أفراداً وجماعاتٍ تحقيق مصالح العباد والبلاد، بما يرضي رب العباد تبارك وتعالى.

التقويم

- ١ أكتب الحديث الشريف: «ألا كلكم راع الحديث».
- ٢ أعرّف براوي الحديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.
- ٣ أبين أهمية المسؤولية وعظمتها.
- ٤ من خلال قراءتي للنص التعليمي أوازن في أربع نقاط بين مسؤولية الرجل ومسؤولية المرأة.
- ٥ أستنتج الفائدة من ذكر الرسول ﷺ الحاكم والعبد في المسؤولية.

عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال: «استعمل النبي ﷺ رجلاً من بني أسد يقال له ابن الأُتَيْبَةِ على صدقه، فلما قَدِمَ قال: - هذا لكم وهذا أُهدِي لي. فقام النبي ﷺ على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ما بالُ العاملِ نبعثُهُ فيأتي فيقول: هذا لك وهذا لي، فهلاً جَلَسَ في بيتِ أبيه وأمه فينظرُ أَيُهدى له أم لا؟ والذي نفسي بيده لا يأتي بشيءٍ إلا جاءَ يومَ القيامةِ يحمله على رقبته، إن كان بغيرِ أله رُعاءً، أو بقرةً لها خُوارٌ أو شاةٌ تَبْعِرُ- ثم رفع يديه حتى رأينا عُفْرَتَيْهِ يُبْطِيه- ألا هل بلغت؟ ثلاثاً»^(١).

راوي الحديث:

أبو حميد الساعدي الأنصاري المدني، قيل اسمه عبد الرحمن، وقيل: المنذر بن سعد بن المنذر. صحابي جليل، روى الحديث عن النبي ﷺ، وروى عنه عدد من الصحابة والتابعين. توفي في آخر خلافة معاوية رضي الله عنه.

شرح الحديث:

نظام الجباية في الإسلام:

اهتم الإسلام اهتماماً بالغاً بالنظام الاقتصادي، الذي يؤمن الحياة الكريمة للناس، ولذلك نجد أن النبي ﷺ كان يعين العمال أو جباة الزكاة ليجمعوها من الأغنياء، ثم يعاد توزيعها. ويفيد الحديث أن النبي ﷺ قد عين رجلاً على جمع الصدقة من بني أسد (بسكون السين)، يدعى عبد الله، وذكر في الحديث بلفظ ابن الأُتَيْبَةِ، وفي رواية أخرى ابن اللُتَيْبَةِ. والأُتَيْبَةُ أو اللُتَيْبَةُ هي أمه، وقيل نسبة إلى بني لُتُبْ قبيلة معروفة.

من أين لك هذا؟؟

ذهب عبد الله ابن اللُتَيْبَةِ بتوكيل من النبي ﷺ ليجمع الصدقات والزكاة من الناس، ثم عاد إلى المدينة المنورة حاملاً معه ما جمع، وقد أحضر ابن اللُتَيْبَةِ معه قسمين من المال: قسم للمسلمين وهو حصيلة ما

١ رواه البخاري: كتاب الاحكام، باب هدايا العمال.

جمعه من الزكاة، وقسم آخر هو هدايا قدمها له الناس، مبرراً فعله بقوله: «هذا لكم، وهذا أهدي إلي»، فلما سمع النبي ﷺ هذا الكلام اشتد غضبه وصعد المنبر، وفي رواية: (فصعد المنبر وهو مغضب)، ثم بين للناس أن ما يقدم للجابي من هدايا هي نوع من الرشوة والمال الحرام؛ لأن الناس لا يعطون الجابي هذه الأموال لشخصه، بدليل أنه لو جلس في بيته ولم يعمل بهذه الوظيفة فلن يقدم له أحد شيئاً.

وبهذا يكرس النبي ﷺ مبدأ المساءلة والمحاسبة، وخاصة للمسؤولين وولاية الأمر، فانتدابهم في مهمات لخدمة الناس والمجتمع لا يعفيهم من مبدأ المساءلة، وهذا ما يُعبر عنه في زماننا بقولهم: من أين لك هذا؟ ثم يقسم النبي ﷺ بربه، على أن من أخذ من هذا المال بغير حقه، سوف يأتي يوم القيامة يحمله على رقبتة، حتى وإن كان شيئاً ثقيلاً كالبعير والبقرة والشاة.

وهذا من باب العقوبة والفضيحة لهذا الإنسان، جزاء ما سرق من المال العام الذي لا يحق له أن يأخذ منه. ويصف النبي ﷺ المشهد بوصف تندى منه الجباه، وصف يضيفي حركة وأصواتاً، فها هو السارق من المال العام، الخائن للأمانة يأتي وقد حمل على ظهره ما سرق، وها هو يئن تحت ثقل بعير، أو بقرة أو شاة، وهي تصدر أصواتها المعهودة، والوصف هنا على الحقيقة لا من باب التشبيه والمبالغة، والحديث يسمى أصوات الحيوانات كما عرفتها العرب (بعير له رغاء، وبقرة لها خوار، وشاة تيعر) والرغاء هو صوت البعير، والخوار هو صوت العجل، وقد يستعمل في البقر وغيره من الحيوان، وقد ورد هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ﴾ طه: ٨٨، أما قوله (شاه تيعر) بفتح التاء، وسكون الياء، واليعار هو صوت الشاة الشديد.

ولا ينحصر مفهوم الحديث بما ذكر من أشياء، بل يتجاوز ذلك إلى كل ما في معناه، أو بما يشبهه في وقتنا الحاضر؛ كالسيارة أو الحاسوب أو غير ذلك.

■ الدين النصيحة:

هذا الغضب الشديد والتفريع الذي صدر من النبي ﷺ، مع القسم بالله، إنما جاء من باب حب النبي ﷺ لأمته، وحرصه على الناس حتى لا يقعوا في الحرام، فهو يقدم لهم النصيح والإرشاد، وقد يقسو في ألفاظه ليس من باب الانتقاص منهم، وإنما إشعاراً بالخطر الناتج عن السلوك الخاطيء.

أَتَعَلَّمُ:
العُفْرَةُ: البياض تحت الإبط.

فهو ﷺ يحرص كل الحرص على أن يصل كلامه إلى الجميع؛ لأنه المبلِّغ عن ربه - سبحانه وتعالى -، فها هو يرفع يديه عالياً حتى تظهر عفرتي إبطيه ثم يسألهم: ألا هل بلغت؟

ويكرر سؤاله ثلاثاً حتى يتأكد من سماع جميع الحاضرين وتبرأ ذمته أمام الله سبحانه وتعالى.

فقہ الحديث:

وقف الفقهاء عند هذا الحديث ، واستنبطوا منه أحكاماً مهمة ، منها :

١ الهدية بين الناس وبين الأرحام مستحبة ؛ لأنها تدخل المحبة إلى قلوب الناس لقوله ﷺ : «تهادوا تحابوا»^(١).

٢ إذا كان الشخص المهدي إليه صاحب منصب أو يشغل وظيفة ما ، فالهدية المقدمة له على وجهين :

أ إذا جاءت الهدية من شخص كان يهديه قبل توليه الوظيفة ، ولم يكن له غرض عنده ، كالقريب ، والصديق ، والجار الذي كان بينهما تزاور وتهادي ، فالهدية جائزة ولا بأس بها إذا كانت ضمن الحد المعتاد .

ب إذا كانت من شخص لم يكن من عادته تقديم الهدايا له قبل تولي المنصب ، أو كان له غرض من هديته ، فالهدية هنا غير جائزة ، ولا ينبغي قبولها ؛ لأنها في الظاهر هدية وفي الباطن رشوة .

٣ الهدية التي تعطى للموظف مقابل إنجازه لعمله ، تُعد من باب الرشوة ؛ لأن الموظف يتقاضى أجراً من الدولة على قيامه بهذا العمل ، فلا يجوز له أن يأخذ شيئاً من الناس مقابل قيامه بالعمل ؛ قال ﷺ : «من استعملناه على عملٍ فرزقناه رزقاً فما أخذ بعد ذلك فهو غلول»^(٢) ؛ أي حرام .

١ أخرجه مالك في الموطأ : كتاب حسن الخلق ، باب ما جاء في المهاجرة ، ح ١٦ .
٢ رواه أبو داود في سننه : كتاب الخراج والامارة والفيء ، باب في أرزاق العمال ، وقال الألباني : صحيح .

- ١ أكتب الحديث الشريف: «استعمل النبي ﷺ رجلاً من بني أسد الحديث» .
- ٢ ما معنى العبارات والتراكيب الآتية:
- تَيَعَّر . ■ عُفَّرْتِي إِبْطِيه . ■ خَوَار .
- ٣ أضع دائرة حول رمز الأجابة الصحيحة فيما يأتي:
- أ غَضِبَ النبي ﷺ:
- ١ لأن ابن اللُّتبية أخذ لنفسه أكثر مما ينبغي .
- ٢ لأن جَمَعَ ابن اللتبية للمال لم يكن شرعياً .
- ٣ لأن هدايا العمال حرام شرعاً .
- ٤ لأن ابن اللُّتبية لم يكن مكلفاً أصلاً بجمع الزكاة .
- ب الهدية تكون شكلاً من أشكال الرشوة في الحالة الآتية:
- ١ إذا أخذت بسيف الحياء .
- ٢ إذا لم يكن لها غرض شرعي .
- ٣ إذا أعطيت للموظف بسبب وظيفته .
- ٤ إذا كان بين المهدي والمهدى إليه صلة قرابة .
- ٤ أعلل: رَفَعَ النبي ﷺ يديه عالياً وتكرأه لجملة (ألا هل بلغت) ثلاثاً .
- ٥ أشرح النص الآتي: «والذي نفسي بيده لا يأتي بشيء إلا جاء يوم القيامة يحمله على رقبتة» .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك).^(١)

ندب الله - عز وجل - الناس للزواج لما في ذلك من صون الأفراد والمجتمعات من الوقوع في الرذيلة، وحفظ النوع الإنساني من الانقراض في حال العزوف عن الزواج، ولتحقق الرحمة والسكينة بين كل من الرجل والمرأة، واعتبر الإسلام أن في الزواج كمال الدين .
ولأن الزواج رباط وثيق، وعقد عظيم طويل الأمد، فلا بد أن يتم الاختيار وفق مواصفات تحافظ على دوامه واستمراره .

■ شرح الحديث:

النكاح لغة : الزواج .

اصطلاحاً: عقد يبيح لرجل وامرأة التمتع على وجه مخصوص، وبشروط معينة .

■ مقاصد الناس من الزواج:

وفيه من قوله صلى الله عليه وسلم: «لأربع» أن المرأة مرغوبة عند الرجل -في عادة الناس- لأربعة أهداف:

- الأول: (لمالها)، والمال مقدم عند كثير من الناس في هذا المجال على غيره من المقاصد، وذلك لأهميته، ولطمع الرجل في الزواج من صاحبة المال، وقد اعتبره بعض العلماء بمثابة الحسب، فبه تساعد المرأة زوجها، وعلى أقل تقدير ترفع مؤونة نفقتها عن كاهله .
- وحتى يوقف الإسلام طمع الرجال في هذا الجانب، منع الرجل من السيطرة على مال زوجته، واعتبر نفقة المرأة واجبة على زوجها حتى لو كان فقيراً، إلا إذا كان أخذ مالها برضاها .

١ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الرضاع، باب استحباب نكاح ذات الدين، ح ٥٣ .

• الثاني: (ولحسبها)؛ والمقصود بالحسب شرف الآباء والأجداد (النسب الشريف)، وهو مأخوذ من الحساب؛ لأنهم كانوا إذا تفاخروا عدّوا مناقبهم، ومآثر آبائهم وقومهم وحسبها، فيحكم لمن زاد عدد مآثره على غيره، ويبدو من خلال الأحاديث التي وردت في هذا المجال والتي ذكرت الحسب أنه مقدم على الجمال، وليس ذلك غريباً على قوم يتفاخرون بالأنساب ويعدونها من أعظم المآثر.

• الثالث: (ولجمالها)؛ والجمال جمال الخلق، وهو مطلوب في كل شيء، فكيف إذا كان هذا المطلوب هو المرأة؟!

فيا روعة الجمال إن اقترن بالدين والفضيلة والحياء والعفة، ويا لفظاعته وبشاعته إن تعرّى من الدين والفضيلة!، فكم من جميلة تتقرز النفس من النظر إليها، والأذن من سماعها، لسلوكها الشائن، وانحلال أخلاقها، وجرأتها على دينها، وهتكها لشوب الحياء، فالجمال إن تعرّى من الدين والخلق يمكن أن يكون لعنةً على المرأة تحيا بسببه في شقاء دائم؛ لما يعترئها بسببه من الغرور والضياع والتردي.

• الرابع: (ولدينها)؛ ونكاح ذات الدين يهتم به من أراد سعادة الدنيا والآخرة، فالمرأة ذات الدين تكون قائمة بأمر الله حافظة لحقوق زوجها وماله، معينة له على طاعة الله؛ لذلك قال ﷺ: «فاظفر بذات الدين».

واللائق بالعاقل وصاحب المروءة أن يكون الدين مطمح نظره في كل شيء سيّما فيما تطول صحبته، فإن وجد الجميلة غير المتدينة والأخرى المتدينة، فالزواج من ذات الدين أولى وأكثر توفيقاً؛ والمرأة ذات الدين إذا نسي زوجها ذكرته، وإن تناقل عن الطاعات نشطته، وإن غضب أرضته، سئل رسول الله ﷺ: أي النساء خير؟، فقال: «التي تُسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها وماله بما يكره»^(١). فهي إذاً نموذج صالح في كل شيء.

وفي قوله ﷺ: «تربت يداك» دعاء يراد به غير ظاهره، فأصل تربت يداك أي التصقت بالتراب، والمقصود: الحث على اختيار ذات الدين والفوز بالزواج منها، وأنّ الدين أفضل الخصال الأربع التي يبحث عنها من أراد الزواج.

١ أخرجه النسائي: كتاب النكاح، باب أي النساء خير، وصححه الألباني.

- ١ أكتبُ حديث الرسول ﷺ: «تُنكح المرأة الحديث» .
- ٢ ماذا تعني المفردات والتراكيب الآتية : تنكح ، لحسبها ، فاظفر ، تربت يداك؟
- ٣ أعلل : قُدِّمَ المال والحسب في الحديث على الجمال .
- ٤ أشرحُ قوله ﷺ: «فاظفر بذات الدين تربت يداك» .
- ٥ أيُّ الخصال الأربع أفضل من وجهة نظرك ، ولماذا؟

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: تصدق عليّ أبي ببعض ماله، فقالت أمي عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى تُشهد رسول الله صلى الله عليه وآله، فانطلق أبي إلى النبي صلى الله عليه وآله ليُشهده على صدقتي، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «أفعلت هذا بولدك كلهم؟»، قال: لا، قال: «فاتقوا الله واعدلوا في أولادكم». فرجع أبي، فردّ تلك الصدقة^(١).

راوي الحديث:

النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاريّ، الخزرجيّ، له ولأبويه صحبة، ويكنى أبا عبد الله، كان أوّل مولود في الإسلام من الأنصار بعد الهجرة، كان قاضي دمشق، واستعمله معاوية على الكوفة، وكان من أخطب الناس، ثمّ نقله إلى إمرة حمص، وقُتل فيها سنة خمس وستين، وله أربع وستون سنة، روى له الجماعة.^(٢)

وعمره بنت رواحة الواردة في الحديث أخت عبد الله بن رواحة: صحابيّة، وهي امرأة بشير بن سعد، والد النعمان، وهي التي سألت بشيراً أن يخصّ ابنها بعطيّة دون إخوته، فردّ النبي صلى الله عليه وآله ذلك.

■ شرح الحديث:

أوجب الإسلام العدل بين الناس بعامة، وبين الأولاد بخاصّة، وحرّم الظلم بين العباد، وقوّى روابط الأسرة بإشاعة الألفة والمحبة بين أفرادها؛ ليقطع دابر الشيطان من أن يبذر بذور الفتنة بين الأخوة، فلا ضغينة ولا حقد، ولا شحناء ولا بغضاء، ولا حسد، ولا شعور بالظلم، فتعيش الأسرة في أمن وأمان، وطمأنينة واستقرار، وراحة نفس، موجّهة همّها إلى بناء المجتمع، والمساهمة في تقدمه ورفع شأنه.

١ أخرج مسلم في صحيحه: كتاب الهبات، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة.

٢ الجماعة: أي أصحاب الكتب الستة.

■ الهبة للأولاد والعدل بينهم:

في هذا الحديث توجيه للرجل أن يسوي بين أولاده في الهبة، وأن يهب لكل واحد منهم مثل الآخر، ولا يفضل أحدهم على إخوانه، ويسوي بينهم لظاهر الحديث، فلو فضل بعضهم، أو وهب بعضهم دون بعض، فمذهب الجمهور أنه مكروه، وليس بحرام، والهبة صحيحة، ودليلهم: قوله ﷺ: «فأشهد على هذا غيري»^(١) قالوا: لو كان حراماً، أو باطلاً لما قال ﷺ هذا الكلام.

ومذهب أحمد وآخرين: هو حرام واحتجوا برواية: «فإني لا أشهد على جور»^(٢)؛ لأن الجور هو الميل عن الاستواء والاعتدال، وكل ما خرج عن الاستواء والاعتدال فهو جور.

وذهب بعض العلماء إلى التفضيل في هذه المسألة، فقالوا: إن كان سبباً لذلك التفضيل، كأن يكون الولد صاحب مرض، أو إعاقة جسدية، أو عقلية تحول دون قدرته على كسب الرزق كباقي إخوته، أو تكون أنثى ولم تتزوج، فلا مانع أن تُخصَّ بشيء زائد على سائر إخوتها؛ لتسد حاجتها إذا ما فقدت والديها.

■ صفة التسوية:

اختلف العلماء في صفة التسوية على قولين:

- القول الأول: تُقسَم كالميراث، بأن يُعطى الذكر مثل حظ الاثنتين؛ كالميراث، وحجَّتْهم في ذلك بأنَّه حظهم من ذلك المال لو أبقاه الواهبُ في يده حتى مات.
- والقول الآخر: المساواة بين الذكر والأنثى، وظاهر الأمر بالتسوية يشهد لهم، واستأنسوا بحديث ابن عباس: «سوا بين أولادكم في العطيَّة، فلو كنت مفضلاً أحداً لفضلت النساء»^(٣).

■ رجوع الأب فيما وهب لابنه:

في قوله: «فرجع أبي فردَّ تلك الصدقة»، دليل على جواز رجوع الوالد في هبته للولد؛ وهو قول أكثر الفقهاء. وقيدوا رجوع الأب بما إذا كان الابن الموهوب له لم يتصرف في هذا المال.

١ أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الهبات، باب كراهية تفضيل بعض الأولاد في الهبة.

٢ المصدر السابق رقم (١٥، ١٤).

٣ أخرجه سعيد بن منصور، والبيهقي من طريقه، وإسناده حسن كما قال ابن حجر.

■ وأفاد الحديث أموراً، منها:

- ١ جواز تسمية الهبة صدقة .
- ٢ الندب إلى التآلف بين الإخوة، وترك ما يوقع بينهم الشحناء، أو يورث العقوق للآباء .
- ٣ الإشهاد في الهبة مشروع، وليس بواجب .
- ٤ للقاضي أن يردّ الهبة والوصية إذا أراد الواهب أن يحرم بعض الورثة .

التقويم

- ١ أكتب الحديث الشريف: عن النعمان بن البشير رضي الله عنه قال: «تصدق عليّ أبي ببعض ماله، فقالت أمي عمرة بنت رواحة: لا أرضى الحديث» .
- ٢ أيبّن حكم عطية ولد دون سائر الأولاد .
- ٣ أوضّح آراء العلماء في رجوع الأب عن عطية ابنه .
- ٤ أستخلص أربعة من الأحكام التي أفادها الحديث .
- ٥ أوضّح سلبات إعطاء ولد دون سائر الأولاد .

عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «تلقت الملائكة روحَ رجلٍ ممن كان قبلكم، قالوا: أعملتَ من الخير شيئاً؟»، قال: كنت أمرُ فتياي أن يُنظروا ويتجاوزوا عن الموسر: قال: فتجاوزوا عنه»^(١).
وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «كان تاجر يداين الناس، فإذا رأى مُفسراً قال لفتيانه: تجاوزوا عنه لعلَّ الله أن يتجاوز عنا، فتجاوز الله عنه»^(٢).

راوي الحديث الأول:

هو حذيفة بن حِسل بن اليمان، صاحب سرِّ رسول الله ﷺ في المنافقين، لم يُعلم رسول الله ﷺ أحداً سوى حذيفة بن اليمان، وكان عمر يسأل حذيفة: أفي عمالي أحد من المنافقين؟، كما أن الفاروق رضي الله عنه كان إذا حضرت جنازة يسأل عن حذيفة، فإن حضر الصلاة عليها صلى عليها عمر، وإن لم يحضر حذيفة الصلاة عليها لم يحضر.
روى عن رسول الله ﷺ وأكثر، شهد أحداً هو وأبوه، وكان أبوه أحد شهداء أُحد، أرسله رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب ليأتيه بخبر الكفار، ولم يشهد حذيفة بداراً، وكان في الفتوحات الإسلامية في المقدمة فقد شهد حرب نهاوند، ولما قُتل النعمان بن مقرن أمير الجيش أخذ الراية حذيفة، وشهد فتح همدان، والرِّيِّ والدينور، وشهد فتح الجزيرة، ونزل نصيبين، وتزوج فيها، كان يسأل رسول الله ﷺ عن الشرِّ ليتجنبه، توفي رضي الله عنه بعد مقتل سيدنا عثمان بأربعين ليلة سنة ست وثلاثين للهجرة النبوية.

فضيلة التعاون في المجتمع:

دعا الإسلام أتباعه إلى التعاون على البرِّ والتقوى، وأن يقوم الناس بعضهم على شؤون بعض؛ فالقوي يرحم الضعيف، والغني يقف إلى جانب الفقير، والصحيح يعطف على المريض، فالتكافل الاجتماعي فلسفة اجتماعية هدف إليها الدين الحنيف، ونصّ في كثير من نصوصه على ذلك، قال ﷺ: «والله في

١ أخرجه البخاري في صحيحه، : كتاب البيوع: باب من أنظر موسراً.

٢ رواه البخاري: كتاب البيوع، باب من أنظر معسراً.

عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»^(١) وقال ﷺ: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٢)، وقال: «الراحمون يرحمهم الرحمن»^(٣).

كما نهى الإسلام أن يقابل الإنسان الإساءة بالإساءة، بل أمر أن تُتبع السيئة بالحسنة، قال نبي الهدى ﷺ في معرض التربية والتوجيه: «وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»^(٤). فالتعاون والصفح والتجاوز عن الآخرين إن تمّ ساد المجتمع التكافل وغدت هذه الأخلاق ثقافة وسلوكاً قوياً، وأصبح المجتمع متعاوناً متحاباً تسوده الأجواء الإيجابية والطمأنينة والمودة، وتُنشَر المحبة فيما بين الناس.

■ من مضامين الحديث الشريف:

لقد أخبر الرسول الكريم ﷺ عن رجل عاش في زمن بعيد، وهو من إحدى الأمم التي كانت لديها رسالة ورسول، إذ كان ذلك قبل الإسلام، وكان هذا الرجل ممن شهد لله بالوحدانية وآمن برسول الله الذي بشر برسالاته في تلك الأزمان.

غير أن هذا الرجل لم يكن يعمل الصالحات أو يتقي الله عز وجل في حياته، بل كان يعمل المعاصي ولا يعمل الخير. وقد بينت طرق الحديث هذا الأمر، حيث جاء في رواية أخرى: «أعملت من الخير شيئاً؟»، فقال: ما أعلم، قيل: انظر. قال: ما أعلم، وفي رواية الإمام مسلم: «حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيء إلا أنه كان يخالط الناس، وكان موسراً... الحديث»^(٥).

لكن هذا الرجل كانت لديه صفة جليلة وحسنة كبيرة من حسنات التعامل مع الآخرين ممن له دين في ذمتهم؛ إذ كان رجلاً شهماً كريماً، فكان يرسل فتيانه أو خدمه أو عماله إلى الناس الذين عليهم ديون، وفي ذمتهم لهذا الرجل حقوق مالية إذا حلّ أجل المطالبة بالدين، فكان يوصيهم أن ينظروا المعسر، بمعنى لا يلحون عليه في الطلب وإن قال: لا يتوفر لدي مال، يقول لهم: سامحوه وتجاوزوا عنه لعل الله يتجاوز عنا. وإن أعطاهم الموسر شيئاً من المال أو الحقّ كان يأمرهم بأن يتجاوزوا عنه فيما تبقى، لعل الله أن يتجاوز عنه. ومن الروايات التي جاءت شارحة للحديث ومبيّنة له قوله: «أنظر الموسر، وأتجاوز عن المعسر». ومنها: «فأتجاوز عن الموسر، وأخفف عن المعسر». وكلها بمعنى واحد تتضمن معنى التجاوز والتسامح

١ أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، والترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الستر على المسلمين، وقال: حديث حسن.

٢ أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن.

٣ أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب في الرحمة، والترمذي في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة المسلمين، وقال: حديث حسن صحيح.

٤ أخرجه الترمذي في سننه: كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معاشرته الناس، وقال: حديث حسن صحيح.

٥ أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب المساقاة، باب فضل إنظار المعسر.

وإسقاط حَقِّه في الدين عن المعسرين لقاء أن يتجاوز عنه الله تبارك وتعالى ويسامحه يوم الحساب . فكان الله أكرم منه - وكذلك الله دائماً سبحانه - فتجاوز عنه لقاء هذا الخلق الكريم والصفة النبيلة ، رغم ما كان عليه من قلة العمل الصالح وعمل السيئات .

■ ما الآثار التي تترتب على التجاوز عن المعسر؟

إنَّ التجاوز عن المعسر من الأخلاق العالية الرفيعة ، فهي دليل الجود وكرم النفس ، وتكسب هذه الصفة النفس الطمأنينة والسكينة ، وتسبب في حبِّ الآخرين لمنْ تخلَّق بهذا الخلق ، وتعين على سدِّ جيوب الفقر في المجتمع ، وتعوِّد الإنسان الإيجابية وتشجعه على المبادرة في ميادين العطاء والنبيل ، والوقوف دائماً إلى جانب الفقراء والمحتاجين واليتامى والأرامل والغارمين .

كما أنَّها وسيلة للحدِّ من المسألة والمحافظة على الكرامة الإنسانية ، وفيها عون للناس على الاستقامة ونظافة اليد وطهارة السلوك ، وهي طريقة مثلى لترسيخ ثقافة التسامح وإسقاط الحقِّ عمَّن لا يستطيع دفعه أو تأديته ، وفيها تربية وتقويم وشحذ للهمم والتعود على معالي الأمور فعلاً وسلوكاً وفلسفة حياة . كما أنَّها تبني الإرادات وتصقلها ، وفيها التعاون على البر والتقوى من الناحية العمليَّة لا القولية فقط ، وتحقق مع سواها من الصفات الحسنة والأخلاق القويمة التكافل الاجتماعي ، وفيها مقاومة قوية للنفس وحملها على ترك الشر والبعد عنه ، فهي بهذا بانية للنفس ومهدِّبة لها ومقوِّمة إياها ، ومن استطاع أن يخالف النفس هنا ويتغلب على إرادتها في بذل المال فهو لمخالفتها فيما سواه أكبر وأقوى وأشدَّ .

نشاط:

هل يفهم من هذا الحديث أن يركن الإنسان إلى أحد أفعال الخير ويفعل ما يشاء من المعاصي وترك أوامر الله سبحانه؟

التقويم

- ١ أترجم لراوي الحديث .
- ٢ للتعاون في المجتمع آثار إيجابية ، أوضِّح ذلك .
- ٣ أذكر حديثين يدلان على فضيلة التعاون .
- ٤ أعدّد خمسة من الآثار التي تترتب على التجاوز عن المعسر .

عن حكيم بن حزام رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، أو قال حتى يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا مُحِقَّتْ بركةُ بيعهما»^(١).

راوي الحديث:

حكيم بن حزام بن أسد القرشي الأسدي، أبو خالد المكي، عمته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، صحابي جليل، أسلم يوم الفتح، عاش في الإسلام ستين سنة، وفي الجاهلية ستين سنة، وكان من سادات قريش في الجاهلية والإسلام، كانت دار الندوة بيده، فباعها بمئة ألف درهم، فقيل له: بعت مكرمة قريش، فقال: ذهبت المكارم إلا التقوى، اشتريت بها داراً في الجنة، أشهدكم أنني قد جعلتها في سبيل الله -يعني الدراهم-.

أتعلم:

- البيعان: المتبايعان؛ أي البائع والمشتري.
- البركة: الزيادة والنماء.

■ مشروعية البيع:

البيع من العقود التي يحتاج الناس إليها، فهي من ضرورات الحياة، ولأن الإسلام جاء ليحقق مصالح الناس واحتياجاتهم فحده يقر هذا العقد ويباركه، ويجعل له أركاناً وشروطاً، ويوضح كل المسائل المتعلقة به، بل ويوضحه أجمل توضيح حتى لا يختلط بما قد يتوهم الناس أنه كالربا، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ البقرة: ٢٧٥، وهذه الآية نص في بيان مشروعية البيع.

١ أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب البيوع، باب ما يحق الكذب والكتمان في البيع.

- وقد استنبط العلماء من جملة الآيات والأحاديث الصحيحة أركان عقد البيع، وهي:
- أولاً: المتعاقدان، وهما البائع والمشتري، فلا يتصور أن يتم البيع دون بائع مثلاً أو مشتري.
 - ثانياً: المبيع أو السلعة التي تدور عليها عملية البيع.
 - ثالثاً: الصيغة، وهي الإيجاب والقبول، والتي تدلّ في معناها أن يصدر كلام من الطرفين يفيد أنه يرغب في شراء سلعة ما، وكلام آخر من الطرف الثاني يفيد أنه موافق على هذا البيع.

ومن الجدير بالذكر أنّ الكثير من عمليات البيع في هذا الزمان لا يوجد فيها صيغة ولا إيجاب ولا قبول، وإنما يدخل المشتري إلى المحلّ التجاريّ فيجد السلع على الرفوف، وقد كتبت عليها الأسعار فيأخذها ويدفع ثمنها دون أن يتفوه بكلمة ما، وقد أقرّ جمهور العلماء هذا النوع من البيع وسموه بيع المعاطة، على اعتبار أنّ فعل البائع والمشتري يدلّ بدلالة الحال على موافقتهما على هذا البيع.

■ خيار المجلس:

أشار الحديث الذي بين أيدينا إلى أنّ البائع والمشتري لهما حقّ التفكير في إتمام عقد البيع طالما هما جالسان في مجلسهما، فإذا قاما من مجلسهما وتفرّقا فقد أصبح العقد لازماً، لا يحقّ لأحدهما أن يتراجع عن بيعه، وهذا ما سماه العلماء بخيار المجلس.

ومفهوم هذا الخيار أنّ الموافقة إذا تمّت بين الطرفين واتفقا على السلعة والتمن، فيجوز لأحدهما أن يتراجع عن هذه الموافقة طالما هو جالس في مجلسه، فإذا قام من المجلس وانصرف فقد أصبح العقد لازماً، ولا يجوز له التراجع إلا إذا قبل الطرف الآخر.

■ مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنَّا:

الصدق من أصول الأخلاق في الإسلام، بل لا يمكن أن نتصور حياة المسلم دون الصدق، وهذا الخلق العظيم لا يقتصر على العلاقات الاجتماعية بين الناس، وإنما يدخل أيضاً في صلب العقود والمعاملات التي تجري بينهم، فلا بدّ في كلّ معاملة أو عقد يقوم به المسلم أن يكون الصدق هو الأساس فيه، وعدم الصدق هو خيانة وغشّ، وهذا يتنافى مع مقتضيات الإيمان؛ لقوله ﷺ: «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»^(١)، وفي كلام النبي ﷺ: «فإن صدقاً وبيّنا بورك لهما في بيعهما» إشارة واضحة إلى ضرورة الصدق في عملية البيع، وذلك بأن يصدق البائع والمشتري في بيان ما يحتاج إليه صاحبه من ذكر عيب أو نقص في السلعة أو

١ رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: «من غشنا فليس منا».

الثلث - إن كان الثمن سلعة؛ كبيع المفاضة فإن فعلاً ذلك بارك الله لهما في بيعهما، وإن غش أحدهما الآخر نزع الله تعالى البركة من هذا البيع، وهذا معنى قول النبي ﷺ: «وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما»؛ أي كتما ما في السلعة من عيوب أو نقص، واحتال أحدهما على صاحبه، والمحق: هو النقص والمحو والإبطال. والبركة: هي الزيادة والنماء؛ أي أن الله تعالى ينقص ثمرة هذا البيع ولا ينميه بل هو إلى خسارة ونقصان.

وقد رتب العلماء على كتمان أحد الطرفين عيباً أو نقصاً في السلعة أو الثمن مسألة تُعرف عند الفقهاء بخيار العيب، فإذا اشترى شخص سلعة ما ثم تبين له وجود عيب فيها ولم يكن البائع قد بين له هذا العيب، فللمشتري الخيار إن شاء أمسك هذه السلعة، وإن شاء ردها إلى صاحبها ولم يقبلها.

نشاط:

أرجع إلى أحد كتب الفقه، وأتعرف إلى المدة التي يجوز فيها للمشتري أن يرد السلعة إذا وجد فيها عيباً.

وانظر إلى هذا المثال العملي في ضرورة الوضوح في عملية البيع وعدم جواز الغش والتحايل؛ وذلك عندما رأى النبي ﷺ كومة من الطعام المعد للبيع وكان المطر قد بلّله، فجعل صاحب الطعام الجزء الجاف في الأعلى، والمبتل في الأسفل، فمد رسول الله ﷺ يده في الكومة فنالت أصابعه بللاً، فقال: «ما هذا يا صاحب الطعام؟»، قال: «أصابته السماء يا رسول الله»، قال: «أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس؟»، من غش فليس مني»^(١).

١ أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب قوله ﷺ: «من غشنا فليس منا» برقم ٢٨٠.

- ١ أكتب الحديث الشريف: «البيعان بالخيار الحديث».
- ٢ أضع إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (X) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:
- أ () حكيم بن حزام تابعي جليل عاش في الإسلام ستين سنة، وفي الجاهلية ستين سنة.
- ب () البيع لا يعتبر عقداً، بل هو ضرورة من ضرورات الحياة.
- ج () الإيجاب والقبول من أركان عقد البيع.
- د () الحديث «من غش فليس منا» يفيد جواز غش المسلم لغير المسلم.
- ٣ أيبّن معنى المفردات الآتية:
- البيعان ■ البركة ■ محقت
- ٤ أذكر أركان عقد البيع.
- ٥ أعلل ما يأتي:
- أجاز العلماء طريقة الشراء المعاصرة بأن يأخذ المشتري السلعة من المحلّ، ويدفع ثمنها دون أن يتفوه بكلمة.
- نزع البركة من البيع في حال الكذب.

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مُسلمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أو يَزْرَعُ زَرْعًا، فيأكلُ مِنْهُ طَيْرٌ أو إنسانٌ أو بهيمةٌ، إلا كان له به صدقة»^(١).

■ شرح الحديث:

هذا حديث عظيم في الحث على عمارة الأرض وتشجيرها وزرعها وتخضيرها، فيه عظيم الدلالة على إيجابية هذا الدين وبهائه وجماله، ومن خلال هذا النص نرى كوناً عامراً يموج بالخضرة في كل مكان، بحيث يدعو المسلم ليتسم لهذا الكون الجميل وهو مؤمن أن الزراعة جزء من العبادة، فتراه نشيطاً متحمساً للعمل في غرس الأرض، ويأبى إلا أن يأكل من عمل يده، فيعيش عزيزاً كريماً، يده دائماً العليا، يسعد بمجاورته كل شيء حتى الدواب والطيور التي تقتات من خير الأرض التي عمرها.

وبالتمعن في هذا الحديث نرى رحمة ربنا ومحبه تغشى الوجود كله، إنه يعدنا بأجر واسع وكرم لا حدود له إن نحن قدمنا بنفس طيبة ولو شيئاً قليلاً ممّا وهبنا، وكذلك إن نحن سعينا في عمارة هذه الأرض، فكلّ من استفاد من المخلوقات جرّاء سعينا عرفنا ذلك أم لم نعرفه، فلنا على ذلك عظيم الأجر.

■ (ما من مسلم):

قصر الأجر في عمل الخير على المسلم؛ لأنّ المسلم وحده هو الذي سلّم قياده لله وآمن باليوم الآخر، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ آل عمران: ٨٥، والمسلم هو الذي يعرف أن كل عمل نافع يقوم به وراء أجر عظيم، ومن هنا يتبين أن لا أجر للكافر على عمل الخير؛ لأنه لا يؤمن بالآخرة، فأجره يناله في الدنيا بالثناء الحسن على ما يقوم به من أعمال خيريّة وغيرها، أمّا الآخرة فالأجر فيها يمتدّ فقط للإنسان المسلم.

■ (يغرس غرساً أو يزرع زرعاً):

الغرس غير الزرع فهو يشمل الأشجار وما شاكلها، أمّا الزرع فهو لما دون الشجر؛ كالقمح والشعير والذرة وما شاكلها. . . ، ولأنّ الغرس مختلف عن الزرع ورد بينهما الحرف (أو)؛ ليفيد التنوع، فالزرع

١ أخرجه البخاري: كتاب الحرت والمزارعة، باب فضل الزرع والحرت.

والغرس نِعْمَ امتنَّ الله بها على عباده؛ فقال في كتابه الكريم: ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴾ (١٣) ﴿ أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾ الواقعة: ٦٣-٦٤، والحرث يعني شق الأرض وإثارتها والبذر فيها؛ ﴿ أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾ الواقعة: ٦٤ يعني: أنتم تنبتون ما بذرتموه في الأرض أم نحن الذين نَقَرُّ قراره ونُنْبِتُه؟ وهذا فيه تنبيه للعباد أن كل عملهم هو أخذ بالأسباب، وإنما الذي ينبت الزرع هو الله وحده.

■ (فياكلُ منه طَيْرٌ أو إنسانٌ أو بهيمةٌ):

يفهم من قوله ﷺ استمرارية أجر العمل الصالح لمن يحرث الأرض ويزرع فيها الأشجار والزرع، ويعتني بها حتى إذا أثمرت وأينعت هوت إليها أفئدة الناس والدواب والطيور، فأكلوا منها بعلم المسلم أو دون علمه وهو مأجور عليها، حتى لو كانت هذه الأشجار ليست ملكه، وحتى لو كان يعمل أجيراً عند غيره، فبمجرد تعبته في العمل على الإنبات هو مأجور عند الله، ليس هذا فقط، بل يمتد أجره إلى ما بعد موته ما دام الغراس قائماً، وكل هذا يدخل في باب الصدقة الجارية.

إن هذا التوجيه النبوي الكريم ليربيننا على طيبة النفس ومغالبة الشح الذي جُبلت عليه نفوسنا، ويوجهنا أن ننوي الصدقة من هذا الزرع والغرس بمجرد وضعه في الأرض، وإن الصدقة مما بذلنا فيه الجهد والمال هو الذي يبارك الله لنا فيه، ويرببه على سائر ما حوله من المزروعات التي لا يكون فيها إطعام للناس والدواب، وعلينا أن نعلم أن الذي يبقى لنا أجره هو ما نطعمه ونتصدق به، وأن الذي يفنى هو ما نأكله.

إن من اشتغل في فلاحه الأرض وزراعتها وأدى حق الله عليه فعمله عبادة، وخير الناس من بات كالأعمال من عمل يده، وأكرم الأمم أمة تأكل مما تزرع وتلبس مما تصنع، وإلا فالويل لمن عاش عالة على غيره، ومن هنا نفهم مدلول حديث الرسول الكريم ﷺ: «اليد العليا خير من اليد السفلى»^(١)؛ فاليد التي تنتج وتعطي أفضل عند الله من اليد السفلى التي تعيش على المساعدات والإعانات من هذا وذاك.

ونحن على هذه الأرض المباركة، وفي مسيرتنا لتحرير أرضنا من المحتل الغاصب علينا العمل على أحياء أرضنا بزراعتها وتعميرها وإعطائها من عرقنا وأموالنا وجهدنا ما يجعلها خضراء غناء؛ لتجود علينا بإذن الله من خيراتها وبركاتها، ولا أدل على ذلك من قول الرسول ﷺ: «إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليغرسها»^(٢)، والفسيلة: النخلة الصغيرة تُقطع من الأمام، أو تُقلع

١ أخرجه البخاري: كتاب الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى. ومسلم في كتاب الزكاة، باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى.
٢ أخرجه أحمد في «مسنده» ٣/ ١٨٤، ١٩١، والبخاري في «الأدب المفرد»، باب اصطناع المال. وقال الألباني: صحيح

من الأرض فُتغرس ، ويفهم من هذا الحديث مدى الإيجابية التي يتحلى بها المسلم ، ومدى حبه للعمل وزرع الخير وإن قامت عليه القيامة . ونحن إن أردنا أن نعيش أحراراً فعلينا أن نأكل من خيرات أرضنا المباركة ، مهما كلفنا ذلك من ثمن ؛ فالعمل فيها رباط وجهاد .

أتعلم:

وردت الكلمات : (طيرٌ وإنسانٌ وبهيمةٌ) نكرات ؛ ليؤكد لنا الحديث أنّ المسلم مأجور على الصدقة أينما وقعت حتى لو استفاد منها الكافر ، فالمؤمن لو زرع وتصدّق على الكافر فله على ذلك الأجر والثواب ، فيا لعظمة هذا الدين الذي ينشر الرحمة والخير يميناً وشمالاً ، وعلى كلّ الخلق : مسلمين كانوا أو غير مسلمين ، دواباً كانوا أو طيوراً .

■ يستفاد من الحديث:

- ١ حراثة الأرض وزراعتها والعناية بها عبادة .
- ٢ الحثّ على الصدقة مهما صغرت .
- ٣ المسلم مأجور على إحسانه للدابة والحيوان ، وحتى لغير المسلم .
- ٤ المؤمن إيجابيّ ، شعاره : (غرسوا فأكلنا ونغرس فياكلون) .

التقويم

- ١ أكتب حديث رسول الله ﷺ : «ما من مسلم الحديث» .
- ٢ أفرّق بين الغرس والزرع .
- ٣ أعلل ما يأتي :
 - الأجر الأخرويّ على الأعمال الصالحة ينال المؤمن دون الكافر .
 - المؤمن مأجور في التصدّق على غير المسلم .
- ٤ تعمير أرض فلسطين وزراعتها رباط وجهاد ، أوضّح ذلك .
- ٥ أشرح قوله ﷺ : «فياكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة» .

عن بُريدة رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا بَعَثَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، اغْزُوا وَلَا تَغْلُوا وَلَا تَغْدُرُوا، وَلَا تَمْلُثُوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا^(١).

راوي الحديث:

بُرَيْدَةُ بْنُ الْحَصِيبِ الْأَسْلَمِيُّ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، أَسْلَمَ حِينَ مَرَّ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ أَثْنَاءَ هِجْرَتِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ؛ فَاسْلَمَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ، وَكَانُوا نَحْوًا مِنْ ثَمَانِينَ بَيْتًا، وَصَلُّوا الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ بَعْدَ أَحَدٍ، فَشَهِدَ مَعَهُ مَشَاهِدَهُ، وَشَهِدَ الْحُدَيْبِيَّةَ، وَبَيْعَةَ الرِّضْوَانِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، وَكَانَ مِنْ سَاكِنِي الْمَدِينَةِ، ثُمَّ تَحَوَّلَ إِلَى الْبَصْرَةِ وَسَكَنَهَا، ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا غَازِيًا إِلَى خُرَاسَانَ، فَأَقَامَ بِمَرُو حَتَّى مَاتَ وَدُفِنَ فِيهَا، وَبَقِيَ وَلَدُهُ فِيهَا.

نشاط:

أرجع إلى خريطة العالم، أو إلى شبكة الانترنت لمعرفة موقع كلٍّ من خراسان ومرّو.

شرح الحديث:

يبيّن لنا هذا الحديث بما لا يدع مجالاً للشكّ رحمة هذا الدين بالناس أجمعين حتى في حالة الحرب، ويوضح لنا أخلاق القادة المسلمين في الحروب، ومدى التزامهم بشرع الله، ورحمتهم بالجيش الذي يتولون قيادته، إضافة لرحمتهم بالناس أجمعين.

وهذا الحديث يعرض نموذجاً مشرفاً لأخلاقنا في الحروب، في الوقت الذي نرى فيه ونعايش الإجرام والبشاعة في الحروب المعاصرة، والتي قهرت الأطفال والشيوخ والنساء، ونكبت العالم بأسره، وغرست في النفوس صوراً في منتهى الألم والفرع تكاد العقول تطير من مجرد استذكارها أو استرجاع صورها التي لا تنقضي في شريط الذاكرة الإنسانيّة، ومن نماذجها المؤلمة مجزرة صبرا وشاتيلا، وحروب الإبادة في البوسنة والهرسك وما يفعله اليهود في فلسطين.

١ أخرجه مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعث، والترمذي: كتاب الديات: باب ما جاء في النهي عن المثلة. وقال: حديث حسن صحيح.

■ فلسفة الحرب في الإسلام:

لم تكن الحرب في الإسلام هدفاً مقصوداً، ولم يكن القتل غاية للمسلمين، وإنما كان الهدف هو إيصال الرحمة للعالمين؛ مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، فالإسلام كله رحمة حتى على أعدائه، حيث حمل لهم الهداية والخير والسعادة في الدارين، وقد ترجم الصحابيُّ الجليل ربيُّ بن عامر هذه المعاني بقوله الجميل: «الله ابتعثنا لنُخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة ربِّ العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة»، ومن هذا المنطلق لم تكن الحروب في الإسلام حروب انتقام أو إبادة أو استيلاء على خيرات الأمم والشعوب ومقدّراتها، لهذا كان ﷺ حريصاً في اختيار قائد الجيش الذي لا بدّ أن يكون رحيماً وقدوة صالحة لجنوده، فكان ﷺ يوصيه بتقوى الله والرحمة بالناس والشجر والبهائم، وليس هذا فقط بل يوصيه برحمة مَنْ معه من الجند، فييسّر لهم أمورهم ويساعدهم على طاعة ربهم.

■ اغزوا باسم الله في سبيل الله:

هذه وصيته للجيش، إذ يطلب منهم الاستعانة بالله على أعدائهم، فهدفهم من الغزو مرضاة الله المتمثلة في دعوة أعداء الله للإسلام، وإزالة العقبات والحواجز بين الشعوب وبين الإسلام؛ لتسمع دعوة الله وتدخل في رحمة هذا الدين، أو تدفع الجزية مقابل حماية المسلمين لها إن آثرت البقاء على ما هي عليه، ولكن تبقى في حمى المسلمين؛ لأنهم الأمناء على الشعوب.

■ قاتلوا مَنْ كفر بالله:

هذا توجيه من الرسول بمقاتلة الذين ناصبوا دين الله العدا، بعد أن رفضوا الإسلام وآثروا إشعال الحرب عليه وعلى المسلمين.

فالهدف من الغزو هو مدافعة مَنْ يقف حاجزاً بين الإسلام والشعوب، وهذا لا يعني بالضرورة قتلهم، فالمقاتلة هي السعي في جهاد الأعداء؛ لإعلاء كلمة الله.

ويكرّر الرسول عليهم أمره بالغزو بقوله: (اغزوا)؛ تأكيداً على أهميّة الجهاد، وإبرازاً لشأنه من أجل تغيير واقع مليء بالوثنيّة والظلم والتخلف والجهل والحروب الدموية، وينقله إلى واقع مليء بالمحبة والعلم؛ ليكونوا في صدارة الأمم وقيادة البشرية، والإسلام كدين يتسم بالأخلاق العالية والسلوك القويم البعيد عن الهمجيّة والعنف غير المبرر، فيأتي التوجيه النبويّ الكريم محذراً من السلبيّات والجرائم التي تحدث أثناء الحروب؛ لذا جاءت السنّة النبويّة محذرةً بما قد يقع أثناء الحروب، وهي أمور تتمثّل فيما يأتي:

- ١ النهي عن الغلول: (ولا تُغْلُوا)؛ أي لا تسرقوا من الغنيمة؛ تأكيداً على ضرورة نظافة اليد وصون المال من العبث والسرقة، والتحلي بالأمانة للمحافظة على المال العام.
 - ٢ النهي عن الغدر: (ولا تغدروا)؛ أي لا تنقضوا العهد، فلا تحاربوا الأعداء قبل أن تدعوهم إلى الإسلام، وكذا لا تنقضوا عهداً أبرمتموه معهم، والنهي هنا يفيد التحريم؛ فيحرم الغدر.
 - ٣ النهي عن المثلة: (ولا تُمثّلوا)، إياكم والانتقام، فالإسلام راعى حرمة الموتى، ونهى عن تشويه الأجساد، وتقطيع الأطراف من أيدي وأرجل، ونهى عن جدد الأنوف أو الآذان أو غيرها، ممّا فيه قطع لأطراف الجسم، وممّا فيه تنكيل بالموتى، كما نهى عن القتل صبراً؛ وذلك بترك الإنسان يموت جوعاً وعطشاً.
 - ٤ النهي عن قتل الأطفال: (ولا تقتلوا وليداً)؛ إذ حرّم قتل الأطفال حيث لا ذنب لهم فلا هم محاربين، ولا محرّضين على الحروب، ويلحق بهم تحريم قتل المدنيين من رجال ونساء، إن لم يكونوا محاربين.
- فأين هذه التوجيهات العظيمة من هذا الواقع المرير الذي يذوق فيه أطفال العالم مرارة الحروب المعاصرة؟ بل لقد أصبح الأطفال والضعفاء هم وقودها.

■ يستفاد من الحديث:

- ١ الإسلام دين الرحمة والأمان في السلم والحرب.
- ٢ الجنديّ المسلم منضبط بأوامر الله.
- ٣ هدف الجهاد إعلاء كلمة الله، ولا مطمح للمجاهد في مال أو مغنم.

التقويم

- ١ أكتب حديث رسول الله: «اغزوا باسم الله الحديث».
- ٢ أوضّح المقصود من المفردات الآتية:
■ الغدر ■ الغلول ■ المثلة ■ الوليد.
- ٣ أشرح قول رسول الله ﷺ: «اغزوا باسم الله في سبيل الله».
- ٤ أذكر ثلاثة دروس تعلمتها من الحديث الشريف.
- ٥ أعلل: الحروب المعاصرة تفتقر إلى الكثير من الأخلاقيات.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ، قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة فَرَّجَ اللهُ عنه كربة من كُرْبٍ يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»^(١).

■ شرح الحديث:

العلاقة في المجتمع المسلم مبنية على أساس الإسلام وتقوى الله سبحانه، إذ حرص الإسلام على أن تكون العلاقات في المجتمع المسلم قائمة ومبنية على أساس الإسلام لا على أي أساس آخر، من لون أو جنس أو عرق أو قبيلة أو عشيرة؛ فالأخوة في الدين هي الأصل في إقامة العلاقات والتواصل والمحبة والتعاون وإقامة الجسور بين الناس؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ الحجرات: ١٠. وقد أشار القرآن الكريم إلى أن آية أخوة ليست قائمة على أساس الإسلام تنقلب إلى عداوة يوم القيامة؛ قال تعالى: ﴿ الْأَخْلَاءَ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ الزخرف: ٦٧.

ومن هنا نهى الإسلام عن العصبية القبلية وحاربها وأبان عوارها، ورفض أن تكون هي الأساس في العلاقات، يسالم لأجلها ويحارب لأجلها، يحب ويكره على قاعدتها، المنح والمنع بسببها. فقد جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ: «دعوها (العصبية) فإنها خبيثة»^(٢)، وقال ﷺ: «ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية»^(٣).

وقد روى الإمام مسلم في صحيحه بسنده مرفوعاً إلى النبي ﷺ: «من قتل تحت راية عمية، يدعو عصبية، وينصر عصبية، فقتله جاهلية»^(٤).

١ رواه البخاري: كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم. ومسلم: كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم.
٢ رواه البخاري في صحيحه: كتاب المناقب، باب ما ينهى من دعوة الجاهلية.
٣ أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الأدب، باب في العصبية، ح ٥١٢١.
٤ رواه مسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين . . . ح ١٨٥٠.

■ أهمية المسلم وقيّمته في المجتمع:

لقد كرم الإسلام الإنسان المسلم وحفظه في نفسه وماله، وحافظ عليه من كل ما يسوّؤه أو يؤذيه، أو يعكّر صفوه، وأمر بأن يتعاضد المسلمون فيما بينهم ويقف بعضهم إلى جانب بعض، ويدود بعضهم عن حياض بعض، ويحفظ كلّ منهم حقّ أخيه المسلم فلا يظلمه في نفسه وماله، ولا في أيّ حقّ من حقوقه التي أوجبها الإسلام وقررها ربّ العالمين له في كتابه الكريم أو سنّة نبيّه ﷺ، وقرر الإسلام أنّ المسلم أخٌ للمسلم، إذ يجب أن تكون العلاقة فيما بين أفراد المجتمع المسلم على هذا الأساس وتلك القاعدة؛ أي أنّهم جميعاً إخوة، فلهم ما للإخوة بعضهم تجاه بعض، وعليهم كذلك ما على الإخوة فيما بينهم.

ومّا لا شكّ فيه أنّ التعامل على قاعدة الأخوة الإيمانيّة من أمتن وأصلب القواعد المجتمعيّة، وأكثرها استمراريّة وديمومة، وهذا ما يهدف إليه الإسلام في بناء النسيج الاجتماعيّ وتحقيقه التكافل، وحفظ الإنسان المسلم نفساً وجسداً وكرامة، خلافاً للعلاقات المبنية على أساس المصلحة الذاتية والخاصّة، حيث تنتهي هذه العلاقة بانتهاء هذه المصلحة.

■ حقوق المسلم:

لقد تضمّن الحديث النبويّ في جانب حقوق المسلم على المسلم توجيهات وإرشادات تربويّة قويمه متعدّدة، فكان منها:

١ العدالة في التعامل: لقد قرر الدين الحنيف أنّ المسلمين جميعاً إخوة، لا فرق بين أفرادهم وآحادهم، فهم متساوون في الحقوق ومتكافئون في الواجبات، وما من مسلم إلا وله حقوق عند أخيه المسلم، وعليه أيضاً واجبات تجاه إخوانه في الإسلام، فمن هذه الحقوق: العدالة حين التعامل معه؛ إذ لا يجوز أن يظلم المسلم أخاه المسلم، أو يتسبب في ظلمه سواء أكان ذلك ظلم النفس أم ظلم الحقوق، كما لا يجوز أن يخذله ولا ينصره، أو يسلمه للغوائل والمهلكات، أو التعدي عليه، ولا يصحّ أن يتسبب في جرحه أو الإساءة إليه، بل لا بدّ من أن يدافع عنه ويدراً عنه الخطر والأذى والمواقف المحرّجة قدر المستطاع.

٢ قضاء حوائجهم: يتوجب على الإنسان المسلم أن يقف إلى جانب أخيه كي يقضي له حاجته إن استطاع؛ فقد صحّ عن رسول الله ﷺ أنّه كان يمشي مع الأرملة والمسكين حتى يقضي لهم حوائجهم. وقد بيّن الرسول الكريم ﷺ أنّ من يمشي في قضاء حاجة أخيه فإنّ الله تعالى يؤجره ويثيبه ويرحمه.

كما حثَّ الرسول الكريم ﷺ المسلم على الشعور مع أخيه المسلم ومساعدته ومؤازرته، وأخبر ﷺ أن الله تبارك وتعالى في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه، كما يتوجب على المسلم أن يمنح أخاه الحاجة أو الشيء الذي يطلبه، ولا يصحَّ له أن يمنعه عنه؛ قال تعالى في معرض الذمِّ لمن يمنح الحاجة عن أخيه المسلم: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ الماعون: ٧؛ أي منع القدر والفأس والمنخل وغير ذلك من لوازم البيت أو العمل.

٣ تفريج كربته: وهذا الحق من الواجبات الشرعية التي كُلف بها المسلم تجاه أخيه، بأن يفرج كربته، ويزيل همّه، وييسر أمره، ويحاول فتح أبواب الفرج في وجهه. ومن كان كذلك في تفريج كربة أخيه المسلم فرّج الله كربته يوم يتوق لهذا الفرج وتشتد حاجته إليه.

٤ الستر عليه: لا يجوز للمسلم أن يفضح أخاه أو ينال من عرضه، فيؤذيه بالقليل والقال والغيبة والنميمة، بل الواجب حتى لو رأى المسلم على أخيه المسلم شيئاً ما هو شين أو عيب أو خطيئة أو جنوح أن يستر عليه وكأنه لم ير شيئاً، فلا يتحدث في ذلك لا لصديق ولا لغيره؛ لأنَّ السِّرَّ إن جاوز الصدر لم يعد سراً، ولا يضمن أبداً أن يبقى طي الكتمان. وهذه خصلة من الأهميّة بمكان والحاجة إليها ملحة؛ لأنَّ فيها تحقق المودّة بين الناس، وتبثّ روح الطمأنينة والسكينة في المجتمع، والأمن على الأعراض والأنفس، وقد اعتبر الإسلام قذف المحصنات الغافلات من كبائر الذنوب ومن الخطايا العظيمة، وعدّ الشارع الحكيم ذلك من السبع الموبقات، والعياذ بالله.

ومّا ينبغي بيانه أنّ مفهوم الستر على المسلم لا يتنافى مع ضرورة بذل النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالمسلم مطالب بالستر على الناس، وفي الوقت نفسه مطالب ببذل النصيحة والتوجيه في جوّ من الحرص بعيداً عن التجريم والتشهير وإشاعة الفاحشة في المجتمع؛ قال الإمام الشافعي رحمه الله: «إذا نصحت أخاك المسلم فيما بينك وبينه فقد زنته، أمّا إذا نصحت على ملاء من الناس فقد شنته وهنته».

- ١ أكتب الحديث الشريف: «المسلم أخو المسلم الحديث» .
- ٢ أضع إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (X) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:
- أ () ليس بالضرورة أن يقف المسلم بجانب أخيه المسلم دائماً .
- ب () على المسلم أن يقضي حاجة أخيه قدر المستطاع إلا إذا كان بينهما سوء التفاهم .
- ج () تفریح الكرب مناط بذوي الهمم والإرادات فقط .
- د () أحياناً لا يستطيع المسلم أن يستر على أخيه المسلم .
- هـ () الستر على المسلم لا بد منه .
- ٣ أضع دائرة حول رمز الإجابة الصحيحة فيما يأتي:
- أ المسلمون جميعاً متساوون في الحقوق والواجبات إلا في بعض الأمور .
- ب المسلمون جميعاً متساوون في الحقوق والواجبات في كل الأمور .
- ج المسلمون جميعاً متساوون في الواجبات غير أن الحقوق مختلفة .
- د المسلمون جميعاً متساوون في الحقوق، وغير متساوون في الواجبات .
- ٤ أذكر ثلاثة من حقوق المسلم التي تضمنها الحديث الشريف .
- ٥ للمسلم أهمية وقيمة مجتمعية وإنسانية، أبين ذلك .

عن عائشة رضي الله عنها أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: مَنْ يكلم فيها رسول الله ﷺ، فقالوا: ما يجترىء عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ، فكلمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ: «أتشفع في حد من حدود الله؟»، ثم قام فاخطب فقال: إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وإني لله، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»^(١).

راوي الحديث:

عائشة بنت أبي بكر الصديق التيمية، أم المؤمنين، تكنى أم عبد الله الفقيهة، وأمها أم رومان، كانت من أحب زوجاته إليه ﷺ، ولما سئل ﷺ: أي الناس أحب إليك؟، قال: عائشة. قيل: فمن الرجال؟، قال: أبوها^(٢).

لم تنجب ﷺ، وتوفي رسول الله ﷺ وهي بنت ثمانين سنة، وساعد ذلك في حفظها لحديث النبي ﷺ، فكانت كثيرة الرواية، وبرعت في الفقه والطب والشعر، وكان يتردد عليها كبار صحابة النبي ﷺ؛ ليسألوها فيما أشكل عليهم. اتهمها المنافقون في عرضها؛ فبرأها الله من فوق سبع سماوات، ونزل فيها قرآناً يتلى إلى قيام الساعة، توفيت رضي الله عنها في رمضان سنة ثمان وخمسين للهجرة.

توقير الصحابة وتقديرهم للنبي ﷺ:

يُظهر الحديث الشريف مقدار الوقار والهيبة التي كان النبي ﷺ يتمتع بها، لدرجة أن قريشاً، وهم أقرب الناس إليه هابوا أن يشفعوا لامرأة من بني مخزوم، فانتدبوا لذلك رجلاً هو من أقرب الناس إلى قلبه، وهو أسامة بن زيد رضي الله عنه الذي كان يُعرف بالحب ابن الحب، حيث كان من أحب الناس إلى قلب النبي ﷺ، وكذلك كان أبوه زيد بن حارثة رضي الله عنه، فهو حبيب ابن حبيب.

١ أخرجه البخاري: كتاب الأنبياء، باب أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم. ومسلم في الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره.
٢ أخرجه البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً». ومسلم في فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

والهيبة الواردة في الحديث ليست هيبة الخوف من بطش القائد أو ظلمه، فما عُرف به ﷺ من التواضع ولين الجانب ووجه لأصحابه يدفع ذلك كله، كيف لا، وقد قال الله تعالى فيه: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنَّ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنَّفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، فهي هيبة الإجلال والتوقير ومعرفة مقدار النبي ﷺ، وأنه أكرم خلق الله على الله وأحبهم إليه سبحانه، كما أنها هيبة في نفوسهم كونهم يشفعون في كبيرة من الكبائر، وهي السرقة، فهم يشفعون في نقيصة لا يجبذ أغلب الناس التوسط فيها، خاصة أن الذي يتشفعون عنده هو رسول الله ﷺ أكثر الناس كراهية أن يعصى الله تعالى.

وشفاعة أسامة رضي الله عنه إنما كانت لمقامه عند النبي ﷺ، فهو يعلم أن النبي ﷺ لا يرد له طلباً، إضافة إلى أنها جراءة الشباب المتحمس المتطوع للخير، وهذا من باب حسن الظن بهذا الشاب المقرب من النبي ﷺ، ولو كان يعلم أن هذه الشفاعة والتوسط لهذه المرأة فيها إثم أو إغضاب للنبي ﷺ ما فعلها مطلقاً، وقد ورد في بعض الروايات أن أسامة رضي الله عنه سبق وأن شفع في أكثر من أمر، وقبل النبي ﷺ شفاعته.

■ قصة المرأة المخزومية:

هي امرأة من بني مخزوم إحدى بطون قريش، واسمها على الصحيح فاطمة بنت الأسود بنت أخي أبي سلمة الصحابي الجليل، قُتل أبوها كافراً يوم أُحد، قتله حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه. وهذه المرأة سرقت في عهد رسول الله ﷺ؛ فجاء في بعض الروايات أنها سرقت قطيفة، وفي روايات أخرى: حلياً، وبغض النظر عن نوع المسروق، إلا أن الإجماع في الأحاديث هو وقوع السرقة. ولما علم أقاربها بأن حد السرقة هو قطع اليد، أعظموا ذلك وأرادوا أن يتشفع لهم أحد عند النبي ﷺ؛ وذلك بأن يعفو عنها أو يفتديها بمبلغ من المال، فلما كلمه أسامة رضي الله عنه، تلون وجه النبي ﷺ من الغضب، وقال: أتشفع في حد من حدود الله؟، وهذا من باب الاستفهام الإنكاري؛ لأنه سبق أن النبي ﷺ كان قد نهى عن الشفاعة في الحدود، ثم قطع رسول الله ﷺ يدها، ومن فضل الله على هذه المرأة أنها تابت وحسنت توبتها، كما تذكر السيدة عائشة رضي الله عنها، وقد تزوجت بعد ذلك، وكانت تأتي إلى السيدة عائشة رضي الله عنها فترفع حاجتها إلى النبي ﷺ.

■ العدالة في تطبيق القوانين:

يُظهر هذا الحديث مدى عدل النبي ﷺ، فهو لا يحابي أحداً من الناس، حتى وإن كان من أقرب الناس إليه، أو صاحب مكانة اجتماعية مرموقة، فلم يشفع لهذه المرأة أنها كانت من بيت من بيوت قريش، وهي قبيلة النبي ﷺ، بل ويقسم النبي ﷺ: (وايُّم الله) لو أن ابنته فاطمة رضي الله عنها سرقت لقطع يدها.

قال الليث عقب هذا الحديث: «قد أعادها الله من أن تسرق»، قال ابن حجر: «وكلّ مسلم ينبغي له أن يقول هذا».

وهذا الحديث قد ذكر عضواً شريفاً، ألا وهو اليد، ومن امرأة شريفة ألا وهي فاطمة، وإنما خصّ النبي ﷺ ابنته فاطمة بالذكر في هذا الحديث؛ لأنها أعزّ أهله عنده، ولأنّه لم يبقَ من بناته حينئذٍ غيرها، فأراد التشديد في إقامة الحدّ على كلّ مذنب وترك المحاباة في ذلك.

ويبيّن النبي ﷺ أنّ هلاك كثير من الأمم السابقة كان بسبب عدم تحقيق العدالة بينهم، فإذا سرق صاحب المكانة أو الغني أو صاحب النفوذ تركوه، أمّا إذا كان السارق إنساناً ضعيفاً لا ظهر له أقاموا عليه الحدّ، وهذا خلل في معايير المجتمع؛ إذ يفرّق بين أفراده، فأخطاء الأغنياء مغفورة ومبررة، أمّا أخطاء الفقراء والضعفاء فلا، ويتعدى هذا التفريق إلى كثير من القضايا الاجتماعية، كما نراه اليوم.

■ لا شفاعاة في حدود الله:

الحد: هو العقوبة المقدرة شرعاً، والتي تجب لحقّ الله تعالى. ونعني بهذا الكلام أنّ الحد هو عقوبة على جريمة اقترفها العبد، وهي مقدّرة من عند الله وليس باجتهاد البشر، وهي تختصّ بهذا النوع من الجرائم التي هي حقّ لله تعالى، أو ما يعرف في الوقت الحاضر بالحقّ العامّ. وحتى تتضح الصورة أكثر، دعونا نبيّن أنواع العقوبات في الإسلام.

■ العقوبات في الإسلام على ثلاثة أنواع:

- أولاً: الحدود: وهي حقّ لله تعالى، قدّرت عقوبتها في القرآن والسنة، وهي تختصّ بمجموعة من الجرائم، مثل: الزنا والسرقاة وقذف المحصنات... إلخ.
- ثانياً: القصاص: وهي عقوبات تختصّ بجرائم القتل والجروح.
- ثالثاً: التعزير: وهي عقوبات على جرائم لم تدخل في النوعين السابقين، وهي كثيرة جداً، والقاضي هو الذي يحدد نوع العقوبة هنا، وله صلاحيات واسعة في تقدير العقوبة تبعاً لحجم الجريمة أو شخصيّة الجاني، وتبدأ من إصلاح الجاني وتنتهي برده، إن كان الإصلاح لا ينفع معه. ويختلف الحدّ عن العقوبتين الأخريين؛ فالقصاص حقّ خاصّ يمكن لصاحبه أن يسقطه، فإذا سامح وليّ المقتول يمكن أن تتحول إلى الدية بخلاف الحدّ، والتعزير أيضاً عقوبة غير مقدّرة في الكتاب والسنة بخلاف الحدّ؛ فالحدّ عقوبة مقدّرة غير خاضعة للتقدير أو الاجتهاد أو التنازل، ولا تجوز الشفاعاة والتوسّط في إقامة الحدود إذا بلغت القضاء.

وقد ذكر العلماء أن عقوبات الحدّ يمكن العفو والتسامح فيها إذا لم تصل القضاء، وتمّ حلها بطريقة مناسبة بين المتخاصمين، أما إذا وصلت القضاء فلا مناص من إقامة الحدّ، ولا تجوز الشفاعة فيها؛ ولذلك نرى أن النبي ﷺ قد غضب عندما حاول أسامة ؓ الشفاعة في الحدّ.

■ يستفاد من الحديث:

- ١ الرجال والنساء سواسية في إقامة حدود الله .
- ٢ قبول توبة السارق وباقي أصحاب الكبائر .
- ٣ مكانة السيدة فاطمة ؓ .
- ٤ لا مجاملة ولا محاباة في تطبيق الحدود على الناس حتى وإن كانوا من أصحاب المكانة الرفيعة .
- ٥ التحذير من أمراض الأمم السابقة ؛ كعدم تحقيق العدالة بين الناس .

التقويم

- ١ أكتب الحديث الشريف: «أنّ قريشاً أهمّهم الحديث» .
- ٢ أذكر أنواع العقوبات في الشرع الإسلاميّ .
- ٣ أوضّح نوع الهيبة الواردة في الحديث .
- ٤ أعلل ما يأتي :
- أ لم يقبل النبي ﷺ شفاعة أسامة مع حبّ النبي ﷺ الشديد له .
- ب ضرب المثل بالسيدة فاطمة ؓ ، مع استحالة إقدامها على السرقة .
- ج الحدّ عقوبة تختلف عن باقي أنواع العقوبات .
- ٥ أتكلّم بإيجاز عن أهميّة تحقيق العدالة في المجتمع بتطبيق القانون على الجميع .
- ٦ أذكر ثلاثاً ممّا يستفاد من الحديث .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «لا تشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول صلى الله عليه وآله والمسجد الأقصى»^(١).

■ شرح الحديث:

هذا حديث نبويّ شريف بين المساجد التي تُشدّ إليها الرحال، وفي ذلك بيان عظيم هذه المساجد الثلاثة وفضلها، وميزاتها على غيرها؛ لكونها مساجد الأنبياء، وفضل الصلاة فيها. وأفاد الحديث أنّ الرحال لا تُشدّ إلى غير هذه المساجد الثلاثة، ومعناه: لا فضيلة في شدّ الرحال إلى مسجد ما غير هذه الثلاثة. وهو المنقول عن جمهور العلماء.

قوله صلى الله عليه وآله: «لا تُشدّ الرحال» بضم أوله على صيغة المجهول بلفظ النفي، بمعنى النهي؛ أي: لا تشدوا الرحال لغيرها. قال أبو محمد الجويني من الشافعية: «إنّه يحرم شدّ الرحال إلى غير المساجد الثلاثة لمقتضى النهي».

وقال الطيبي: «هو أبلغ من صريح النهي، كأنه قال: لا يستقيم أن يقصد بالزيارة إلا هذه البقاع لاختصاصها بما اختصت».

والرحال جمع رحل، وهو للبعير كالسرج للفرس. وكُنِيَ بشدّ الرحال عن السفر؛ والتعبير بشدّ الرحال خرج مخرج الغالب في ركوب المسافر، وإلا فلا فرق بين ركوب الرواحل والحيل والبغال والحمير، والمشى في المعنى المذكور، ويدلّ عليه قوله في بعض طرق الحديث: «إنما يُسافر إلى ثلاثة مساجد»^(٢).

قوله صلى الله عليه وآله: «إلا إلى ثلاثة مساجد»؛ أي أنه لا تُشدّ الرحال إلى مسجد من المساجد غير هذه الثلاثة، فأما قصد غير المساجد الثلاثة من الرحلة في طلب العلم، وفي التجارة والتنزه، وزيارة الصالحين والإخوان، ونحو ذلك فليس داخلاً في النهي.

١ أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة.

٢ أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الحج، باب لا تشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد.

■ شدّ الرحال إلى المسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى:

قوله ﷺ: «المسجد الحرام»؛ أي المحرّم، والمراد به جميع الحرم؛ أي الذي له حرمة، فلا يجوز للمتواجد فيه الصيد، أو قطع شجرة، أو أن يملك لُقَطَتَهُ، وقيل: يختصّ بالموضع الذي يصلى فيه دون البيوت وغيرها من أجزاء الحرم.

أتعلم:

اللُّقطة: كل ما يلتقطه الإنسان من الأشياء المفقودة ولا يُعرَفُ صاحبها.

وقوله ﷺ: «مسجد الرسول»؛ أي: مسجد محمد ﷺ، والمراد: المسجد النبويّ.

وقوله ﷺ: «والمسجد الأقصى»؛ أي: بيت المقدس، وهو من إضافة الموصوف إلى الصفة. فهذه المساجد الثلاثة شرع شدّ الرحال إليها بقصد الصلاة فيها؛ لفضيلتها وتميزها عن غيرها من المساجد. فهل عرف المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها فضيلة هذه المساجد الثلاثة ليحافظوا عليها، ويهبّوا لنصرة المسجد الأقصى وأهله، لتحريره من أيدي المعتصيين.

نشاط:

أرجع إلى كتب التاريخ، وأبين كم مرة وقع المسجد الأقصى في أيدي الأعداء، ومَن حرّره؟

■ سبب تسميته بالمسجد الأقصى:

للعلماء في سبب تسمية المسجد الأقصى أقوال:

- 1 سمي الأقصى؛ لبعده عن المسجد الحرام في المسافة.
- 2 سمي الأقصى؛ لأنه لم يكن حينئذٍ وراءه مسجد.
- 3 وقيل: لبعده عن الأقدار والخبائث.
- 4 وقيل: هو أقصى بالنسبة إلى مسجد المدينة؛ لأنه بعيد عن مكة، وبيت المقدس أبعد منه، فمسجد المدينة قصي، ومسجد بيت المقدس أقصى.

■ حكم شدّ الرحال إلى غير هذه المساجد الثلاثة:

اختلف العلماء في حكم شدّ الرحال إلى غيرها؛ كالذهاب إلى زيارة الصالحين أحياء وأمواتاً، وإلى الأماكن الفاضلة بقصد التبرك بها والصلاة فيها، فذهب بعض العلماء إلى أنه يحرم شدّ الرحال إلى

غيرها، عملاً بظاهر هذا الحديث. ويؤيد ذلك ما أخرج الإمام أحمد^(١) عن أبي هريرة قال: «لقيت أبا بصرة الغفاري، قال: من أين أقبلت؟، فقلت: من الطور، فقال: أما لو أدركت قبيل أن تخرج إليه ما خرجت إليه، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تُعْمَلُ الْمُطَيِّ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَإِلَى مَسْجِدِي، وَإِلَى مَسْجِدِ إِبِلْيَاءَ، أَوْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ». (يَشْكُ).

وفي قوله ﷺ: «إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ» المستثنى منه محذوف، فإمّا أن يقدر عاماً، فيصير: لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَى مَكَانٍ فِي أَيِّ أَمْرٍ كَانَ إِلَّا إِلَى الثَّلَاثَةِ، أَوْ أُخْصَّ مِنْ ذَلِكَ. قال: ابن حجر: «لا سبيل إلى الأول لإفضائه إلى سدّ باب السفر للتجارة وصلة الرحم وطلب العلم وغيرها، فتعين الثاني، والأولى أن يقدر ما هو أكثر مناسبة، وهو: لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَى مَسْجِدٍ لِلصَّلَاةِ فِيهِ إِلَّا إِلَى الثَّلَاثَةِ، فَيُطَّلُ بِذَلِكَ قَوْلُ مَنْ مَنَعَ شَدَّ الرِّحَالِ إِلَى زِيَارَةِ الْقَبْرِ الشَّرِيفِ، وَغَيْرِهِ مِنْ قُبُورِ الصَّالِحِينَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ».

وقال السُّبْكِيُّ الْكَبِيرُ: «لَيْسَ فِي الْأَرْضِ بَقْعَةٌ لَهَا فَضْلٌ لذَاتِهَا حَتَّى تُشَدَّ الرِّحَالُ إِلَيْهَا غَيْرَ الْبِلَادِ الثَّلَاثَةِ، وَمُرَادِي بِالْفَضْلِ مَا شَهِدَ الشَّرْعُ بِاعْتِبَارِهِ، وَرَتَّبَ عَلَيْهِ حُكْمًا شَرْعِيًّا. وَأَمَّا غَيْرُهَا مِنَ الْبِلَادِ قَدْ تُشَدُّ إِلَيْهَا لذَاتِهَا زِيَارَةً أَوْ جِهَادًا أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الْمُنْدُوبَاتِ أَوْ الْمُبَاحَاتِ، قَالَ: وَقَدْ التَّبَسَّ ذَلِكَ عَلَى بَعْضِهِمْ، فزَعَمَ أَنَّ شَدَّ الرِّحَالِ إِلَى الزِّيَارَةِ لِمَنْ فِي غَيْرِ الثَّلَاثَةِ دَاخِلٌ فِي الْمَنْعِ وَهُوَ خَطَأٌ؛ لِأَنَّ الْإِسْتِثْنَاءَ إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ جِنْسِ الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ، فَمَعْنَى الْحَدِيثِ: لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنَ الْمَسَاجِدِ أَوْ إِلَى مَكَانٍ مِنَ الْأَمْكِنَةِ لِأَجْلِ ذَلِكَ الْمَكَانِ إِلَّا إِلَى الثَّلَاثَةِ الْمَذْكُورَةِ، وَشَدَّ الرِّحَالِ إِلَى زِيَارَةٍ، أَوْ طَلَبِ عِلْمٍ لَيْسَ إِلَى الْمَكَانِ بَلْ إِلَى مَنْ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ».

■ ما حكم مَنْ نذر الذهاب إلى المساجد الثلاثة؟

إنَّ مَنْ نَذَرَ الذَّهَابَ إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ لَزَمَهُ قَصْدُهُ حَجًّا أَوْ عِمْرَةً، وَلَوْ نَذَرَهُ إِلَى الْمَسْجِدِينَ الْآخَرَيْنِ، فَالَّذِي عَلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَنَّهُ يَجِبُ الْوَفَاءُ بِهِ. وَأَمَّا بَاقِي الْمَسَاجِدِ سِوَى الثَّلَاثَةِ فَلَا يَجِبُ الْوَفَاءُ بِهِ.

■ يستفاد من الحديث ما يأتي:

- ١ فضيلة المساجد الثلاثة على غيرها من المساجد.
- ٢ مشروعية شدّ الرحال إلى المساجد الثلاثة للصلاة فيها دون غيرها.
- ٣ مَنْ نَذَرَ أَنْ يَشُدَّ الرِّحَالُ إِلَى الْمَسَاجِدِ الثَّلَاثَةِ وَجِبَ عَلَيْهِ الْوَفَاءُ بِنَذَرِهِ.
- ٤ الإشارة إلى مكانة المسجد الأقصى، وضرورة نصرته أهله والعمل على تحريره.

- ١ أكتب الحديث الشريف: قال النبي ﷺ: «لا تشد الرحال . . . الحديث».
- ٢ أبيض معنى المفردات والعبارات الآتية:
 - لا تُشد
 - الرحال
 - اللُّقطة.
- ٣ أعلل: تسمية المسجد الأقصى بهذا الاسم.
- ٤ أبيض حكم شد الرحال إلى المساجد الثلاثة وإلى غيرها.
- ٥ أوضح حكم مَنْ نذرَ الذهاب إلى المساجد الثلاثة، وغيرها من المساجد.
- ٦ أذكر ثلاث فوائد دلَّ عليها الحديث الشريف.
- ٧ على من تقع مسؤولية تحرير المسجد الأقصى.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا تُوفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَهُ وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ الْعَرَبِ، قَالَ عُمَرُ لِأَبِي بَكْرٍ: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحَسَابُهُ عَلَى اللَّهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللَّهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللَّهُ لَوْ مَنَعُونِي عِقْلًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنَعِهِ»، فَقَالَ عُمَرُ: فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ؛ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ»^(١).

■ شرح الحديث:

جاء هذا الحديث في معرض الكلام عن الردة التي حدثت بعد وفاة الرسول ﷺ، والتي كان للخليفة أبي بكر رضي الله عنه فيها مواقف سجلها التاريخ، ساهمت في حفظ الإسلام، وذلك بحزمه وحسمه في أمر المرتدين.

■ أتعلم:

الردة: اسم لغوي لكل من انصرف عن أمر كان مقبلاً عليه.

■ (أمرت أن أقاتل الناس):

أي أمرني ربي، والأمر: طلب الفعل على وجه الاستعلاء؛ لأن الأمر في منزلة فوق منزلة المأمور. لقد ارتدَّ عامة العرب بعد موت الرسول ﷺ، فمنهم من رجع إلى الشرك، ومنهم من منع الزكاة، وهؤلاء هم الذين استغرب عمر رضي الله عنه أن يقاتلهم أبو بكر؛ لكونهم يشهدون أن لا إله إلا الله. والمأمور به هنا هو المقاتلة التي تختلف عن القتل؛ فالقتل هو أن يُقتل شخص بعينه، أما المقاتلة فتعني: السعي في جهاد الأعداء حتى تكون كلمة الله هي العليا، فالقتل أضيقت ولا يجوز إلا بشروط معروفة، والمقاتلة أوسع؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقْتُلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ الحجرات: ٩، فأمر بقتال الفئة الباغية وهي مؤمنة، حيث لا يحل قتالها ولا يباح دمه، لكن من أجل الإصلاح أجاز قتالها.

١ أخرجه البخاري: كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة. ح ١٣٩٩، ١٤٠٠.

فأبو بكر هنا قاتل مانعي الزكاة حتى يذعنوا للحق؛ فالجهاد في سبيل الله واجب لإقامة شرع الله، والمرتدون قد اتفقوا على ترك فريضة الزكاة فوجب قتالهم، وذكر الزكاة هنا على سبيل المثال وليس الحصر، فلو تركوا أي فرض آخر؛ كالحج أو صوم رمضان يقاتلون، فالصلاة تدل على سائر الواجبات البدنية، والزكاة تدل على بقية الواجبات المالية.

■ حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله:

حتى تفيد الغاية، يعني أقاتلهم إلى أن يشهدوا بألسنتهم وبقلوبهم، لكن من شهد بلسانه عصم دمه وماله، وقلبه إلى الله عز وجل، إذن مقاتلتهم ترتفع بدخولهم الإسلام بإعلان الشهادتين، لكنهم بعد دخولهم الإسلام يُطالبون بالصلاة والزكاة، فإن امتنعوا عنهما أو عن واحدة منهما وجب قتالهم، وهذا ما دل عليه الحديث. ومن الأدلة على ذلك: أن الرسول ﷺ كان إذا غزا قوماً أمسك؛ أي امتنع عن قتالهم حتى يطلع الفجر، فإن سمع أذاناً كف عن قتالهم وإلا قاتلهم، والأمر بالقتال هنا للوجوب؛ لأن استباحة الدماء التي يحرم سفكها لا يكون إلا في أمر واجب.

■ والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة:

أي لأقاتلن من أقر بالصلاة وأنكر الزكاة جاحداً أو مانعاً، ويفيد ظاهر النص أن عمر كان موافقاً على قتال من جحد الصلاة، فالزمه الصديق بالموافقة على قتال مانعي الزكاة أيضاً؛ لورودهما في الكتاب والسنة مورداً واحداً. قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ البقرة: ٤٣.

■ فإن الزكاة حق المال:

هذا دليل على منع التفرقة بين الصلاة والزكاة، وجواز قتال مانع الزكاة؛ فالصلاة حق النفس والزكاة حق المال، فمن صلى عصم نفسه ومن زكى عصم ماله.

■ لو منعوني عقلاً:

العقل: الحبل الذي تربط به الناقة. والمعنى: لو منعوني شيئاً يسيراً كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ؛ كالحبل الذي تربط فيه الناقة، لقاتلتهم عليه باعتبارهم قد منعوا شيئاً واجباً، إذ لا فرق في منع الواجب وجحده بين القليل والكثير.

قال عمر: (فوالله ما هو إلا أن رأيت الله شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق)؛ أي ظهر لعمر

صحة احتجاج أبي بكر وارتاحت نفسه لذلك، حين علم أنه عازم على القتال لما ألقى الله في قلبه من الطمأنينة لقتال المرتدين، وذلك مما ظهر له من الدليل وإقامة الحججة التي ساقها أبو بكر.

■ يستفاد من الحديث:

- ١ الرسول ﷺ بشر يتلقى الأمر من الله، ويبلغ ما أمر به .
- ٢ الأدب في المناظرة .
- ٣ الحلف على الشيء لتأكيدهِ .
- ٤ قبول الأعمال الظاهرة والحكم على الناس بما يقتضيه الظاهر .
- ٥ شجاعة أبي بكر وعلمه وتقدمه في ذلك على غيره .
- ٦ وجوب قتال مانعي الصلاة والزكاة وغيرهما من واجبات الإسلام قليلاً كان أو كثيراً .
- ٧ مُنكر الزكاة كافر بإجماع المسلمين .

التقويم

- ١ أكتب الحديث الشريف: «أمرت أن أقاتل الناس الحديث» .
- ٢ أوضح معاني المفردات الآتية:
■ عصم ■ عقلاً
- ٣ أفرّق بين القتل والقتال .
- ٤ أشرح قول عمر: (والله ما هو إلا أن رأيت أن الله شرح صدر أبي بكر للقتال؛ فعرفت أنه الحق) .
- ٥ أذكر ثلاثة أمور يرشد إليها الحديث الشريف .

الوحدة

٣

الحديث الشريف (شرح)

عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبي قتادة: أنه سمعه يُحدث عن رسول الله ﷺ: أنه قام فيهم فذكر لهم: «أنَّ الجهاد في سبيلِ الله والإيمان بالله أفضل الأعمال»؛ فقام رجل فقال: يا رسول الله!، أُرأيتَ إن قُتِلْتُ في سبيلِ الله تُكفَّرُ عني خطاياي؟، فقال له رسول الله ﷺ: «نعم، إن قُتِلْتَ في سبيلِ الله، وأنت صابِرٌ محتسِبٌ، مقبلٌ غيرُ مُدبرٍ»، ثم قال رسول الله ﷺ: «كيف قلت؟»، قال: أُرأيتَ إن قُتِلْتُ في سبيلِ الله، أَتُكفَّرُ عني خطاياي؟، فقال رسول الله ﷺ: «نعم، وأنت صابِرٌ محتسِبٌ، مقبلٌ غيرُ مُدبرٍ، إلا الدِّينَ، فإنَّ جبريلَ ﷺ قال لي ذلك»^(١).

راوي الحديث:

أبو قتادة الحارث بن ربِعي السُّلَمِيُّ المدنيّ، صحابيٌّ جليل، وفارس رسول الله ﷺ، شهد أحدًا وما بعدها من الغزوات، ولم يثبت أنه شهد بدرًا، مات بالمدينة المنورة سنة (٥٤) للهجرة، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة.

■ الشرح:

■ الجهاد والإيمان أفضل الأعمال:

الجهاد ذروة سنام الاسلام، والدرع الحصين الذي يحمي الدين وأهله، والإيمان أساس العلاقة التي تربط المسلم بربه، وتُدخله في دائرة العبودية لله تعالى، والتي من أجلها خلق الله تعالى الجنّ والإنس؛ قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات: ٥٦.

والجهاد والإيمان يشكلان منظومة المجتمع السليم الذي أَرادَه الله تعالى، مجتمعاً يقوم على الإيمان بالله تعالى، والجهاد يحمي هذا المجتمع من أن يعثب به عابث، أو يعتدي عليه آثم، بل نلاحظ أن النبي ﷺ قدّم الجهاد على الإيمان إظهاراً لأهميته وقيّمته؛ لأنّ الجهاد هو الذي يُظهر عظمة الإيمان، فالمجتمع المؤمن إذا كان ضعيفاً ولا توجد قوة تحميه فإنه مجتمع يُنْفَرُ منه الناس، ولا يُغري أحدًا بالانضمام إليه، وخير شاهد على ذلك حال المسلمين في هذه الأيام، فمجتمعاتهم ضعيفة، الكلّ يجترئ عليها، ولا تملك قوة تدافع بها عن نفسها، وهذه الصورة لا تغري غير المسلم بالانضمام إليها.

١ أخرجه مسلم: كتاب الإمامة، باب مَنْ قُتِلَ في سبيلِ الله كُفِّرَتْ خطاياهُ، إلا الدِّينَ.

وقد عدَّ النبي ﷺ الإيمان من العمل، وذلك ليصحح المفهوم الذي يعلق بأذهان البعض، بأن الإيمان هو مجرد جانب نظريّ اعتقاديّ، أو هو تصورات عقلية ووجدانية عن الخالق والكون والإنسان، والصواب أن هذا المفهوم هو جزء من معنى الإيمان؛ فالإيمان أوسع من ذلك، وهو كما عرفه العلماء: «اعتقاد القلب، ونطق اللسان، والعمل بالأركان»، وهذا يعني أن الإيمان يشمل ثلاثة عناصر:

- ١ الاعتقاد القلبيّ: هو ما ينعقد عليه قلب الإنسان وعقله من إقرار بوحداية الله تعالى، وإيمان بالرسول والكتب والملائكة واليوم الآخر...، وهذا عمل القلب.
- ٢ نطق اللسان: وهذا ترجمة لاعتقاد القلب؛ وذلك بأن ينطق المسلم بلا إله إلا الله محمد رسول الله؛ إذ لا يكفي أن يعتقد الإنسان ذلك بقلبه، ولا يفصح عنه بلسانه.
- ٣ العمل بالأركان: ونقصد به الجانب العمليّ؛ إذ لا يكفي أن يحمل المسلم الجوانب النظرية للإيمان، ولا يترجمها إلى سلوك وعمل، إذ لا يمكن أن يتصور أن هناك مؤمناً لا يصلي ولا يصوم ولا يزكي ولا يتخلّق بأخلاق الإسلام، وإذا وُجد من يدعي الإيمان وهذه حاله، فهي صورة مبتورة وناقصة وغير صحيحة أبداً وصاحبها على خطر عظيم.

■ الشهادة تكفر الذنوب:

الحديث يُظهر الجانب التفاعليّ مع كلام النبي ﷺ، فهذا هو يذكر أن الجهاد والإيمان من أفضل الأعمال، فإذا برجل يتأثر بهذا الكلام، ويُحب أن تتجلى الصورة لديه، فيسأل: هل يمتد هذا الفضل ليشمل مغفرة الذنوب والخطايا؟

فيوضح له النبي ﷺ أن ذلك صحيح، فمن خرج مجاهداً وقُتل في سبيل الله، فإن الله تعالى يغفر له ذنوبه، ولكن بشروط:

- ١ أن يكون في سبيل الله: فمن قُتل ونيته خالصة لله تعالى، فهو الشهيد الحقيقي الذي يستحقّ ميزات الشهادة، وهي قضية لا بدّ من الوقوف عليها، خاصّة نحن الشعب الفلسطيني الذي أكرمه الله تعالى بأن أوجده على أرض الرباط، واختار من أبنائه شهداء على مدار عشرات السنين، بل مئات السنين منذ حملات التتار والصليبيين إلى الاستعمار الحديث لأرضنا.
- والنية من أخطر ما يمسّ العمل؛ إذ قبوله مرتبط بها؛ وذلك مصداقاً لقوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى...»^(١).

١ رواه البخاريّ في صحيحه: كتاب بدء الوحي، باب كيف كان الوحي إلى ﷺ.

ولأنّ بذل الروح ليس بالأمر اليسير، ولا تخضع للعبث والتجريب فقد خصّها النبي ﷺ بالتوضيح والبيان؛ وذلك عندما سئل عن مجموعة من المفاهيم التي تحرك الناس للقتال، «فقد جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليُرى مكانه، فمن في سبيل الله؟»، قال: مَنْ قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله^(١)؛ فالقتال من أجل الغنيمة، أو من أجل السمعة والذكر أو من أجل لفت أنظار الناس إلى عمله وشجاعته، هي أغراض شخصية دنيوية تلوث النية الطاهرة الصادقة التي لا ينبغي أن تكون إلا لله تعالى.

٢ أن يكون المجاهد صابراً: وهو إشارة إلى مشقة الطريق والعناء الذي يلاقه المجاهدون، فلا بدّ لهم من الصبر والتحمّل حتى يكتمل أجرهم وتُغفر خطاياهم.

٣ الاحتساب: ويُقصد به قيام المجاهد بعمله احتساباً - أي ابتغاء - مرضاة الله تعالى، لا يريد عليه جزاءً أو عرضاً من أعراض الدنيا.

٤ مُقبل غير مدبر: أي مُقدم على الجهاد بشجاعة، لا يدير ظهره للعدوّ، ولا يهرب من ساحة المعركة خوفاً أو جبن، فالبعض قد يُقتل وهو هارب، أو مُدبر عن أرض المعركة، وقد عدّ الله تعالى التولّي يوم الزحف من الكبائر الموجبة لغضب الله تعالى؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمُ الْآدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَنْ يُولُوهُمْ يَوْمَئِذٍ دُبرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقُنَالٍ أَوْ مُتَحَرِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِسْكَ الْمُصِيرِ ﴿الأنفال: ١٥-١٦﴾.

■ الشهادة في سبيل الله تغفر الذنوب باستثناء الدّين:

يُظهر حديث النبي ﷺ عدة أمور فيما يتعلق بالمغفرة هي:

- إنّ الشهادة تغفر ذنوب العبد، فيلقى الله تعالى طاهراً نقيّاً من كلّ ذنب، فالله تعالى غفور رحيم، يُنعم على عبده بالمغفرة إذا رأى الصدق في قلبه، وأيّ صدق أكبر من أن يقدم الإنسان روحه ودمه في سبيل الله تعالى، دفاعاً عن الدين أو المقدسات أو أرض المسلمين.
- خطورة الدّين: حيث إنّ جبريل ﷺ جاء خصيصاً إلى النبي ﷺ، ليخبره أنّ الشهادة لا تغفر الدّين، وهذا ليس تقليلاً من مكانة الشهيد، وإتّما تعظيم لحقوق الناس، فالله تعالى يسامح في حقّه ويعفو عن العبد إذا قصر في جانبه، أمّا حقوق العباد فهي متروكة إليهم، فلا يغفرها الله تعالى إلا إذا تنازل العبد عن حقّه، أو تكفّل أحد من الناس بسداد هذا الدّين.

١ أخرجه البخاريّ في صحيحه: كتاب الجهاد والسير، باب مَنْ قاتل لتكون كلمة الله هي العليا.

• هل يعتبر الدّين ذنباً؟ :

- عندما سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عن مغفرة الذنب للشهيد، قال: نعم، ثمّ استثنى من ذلك الدّين، وظاهر الكلام أنّ الدّين من الذنوب والخطايا.
- والحقيقة أنّ الدّين لا يعتبر ذنباً، فقد جاءت الآيات والأحاديث بجوازه، بل إنّ النَّبِيَّ ﷺ كان يستدين، والدّين من الأمور التي أباحها الشرع، لكنّه أشار وأرشد إلى ضرورة التنبّه والاحتياط؛ لأنّه من حقوق الناس، فلا يلجأ المسلم إلى الدّين إلا عند الحاجة الماسّة وفي الضرورات، مع العزم الصادق على سداده في أسرع وقت، وضرورة كتابته حتى لا تضيع حقوق الناس.

وما فهم من ظاهر الحديث باعتبار الدّين من الذنوب يكون بأحد اعتبارين :

- الأول: إنّ هناك حذفاً؛ أي: إلا تَرَكَ الوفاء بالدّين، وعلى هذا فالدّين ليس ذنباً، وإنّما ترك الوفاء والسداد هو الذنب الذي لا يغفر للشهيد مع قدرته على السداد.
- الثاني: إنّ الكلام هو عن الدّين الذي فيه إثم، وهو ما قام به صاحبه بحيلة أو غضب أو كان صاحبه غير عازم على الوفاء به حين أخذه.

التقويم

- ١ أكتب الحديث الشريف: «أنه قام فيهم فذكر لهم: أنّ الجهاد الحديث».
- ٢ أترجم لراوي الحديث الشريف.
- ٣ أعدّد الشروط المطلوبة في الشهيد حتى يغفر الله تعالى ذنبه.
- ٤ أوضّح مفهوم الإيمان بالله تعالى.
- ٥ أعلل ما يأتي:
 - عدّ النَّبِيُّ ﷺ الإيمان من العمل.
 - يُغفر ذنب الشهيد إلا الدّين.
 - قدّم النَّبِيُّ ﷺ الجهاد على الإيمان.
- ٦ لماذا سمّى النَّبِيُّ ﷺ الدّين ذنباً؟

عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله، وهم كذلك»^(١).

راوي الحديث:

ثوبان بن بُجْدُد، ويقال: ابن جُحْدُر، أبو عبد الله الهاشمي، مولى النبي ﷺ، قيل: أصله من اليمن، وقع في السبي، فاشتراه النبي ﷺ، وأعتقه، ثم خيره بأن يلحق بأهله أو أن يبقى معه، وأن يكون من أهل بيته، فبقي ولم يزل مع النبي ﷺ في سفره وحضره، ثم خرج إلى الشام فنزل الرملة، ثم حمص، وبنى فيها داراً، توفي ﷺ عام ٥٤ للهجرة.

■ شرح الحديث:

هذا الحديث هو من علامات نبوته ﷺ؛ إذ إنه يخبر عن أمر مستقبلي، غير خاضع لقدرات البشر العقلية والفكرية، فهو يتحدث عن مئات بل آلاف السنين بعده ﷺ سيحدث فيها ما لا عد له من الأحداث، وستتغير الظروف، وسيعلو شأن المسلمين أحياناً، ويصيبهم الوهن والضعف في الأحيان الأخرى، لكن الثابت في ذلك كله أن الله تعالى يسخر لأمة الإسلام طائفة ثابتة على عقيدتها ومبادئها، متمسكة بتعاليم نبيها ﷺ تواجه كل من يحاول أن ينال من هذا الدين، ولم يخلُ عصر من هذه الطائفة من زمن النبي ﷺ إلى يومنا هذا، بل وستبقى هذه الطائفة حارسة للإسلام العظيم إلى أن يأتي الله تعالى بأمره.

إن الذي ينظر إلى حال أمة الإسلام، وينظر إلى حجم التآمر والمكائد التي تُحاك ضدها؛ مما تعجز الجبال عن حملها؛ كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكَرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكَرُهُمْ وَإِنْ كَانَتْ مَكْرُهُمْ لَتَنْزُولَ مِنْهُ الْجِبَالِ﴾ إبراهيم: ٤٦، ثم ينظر إلى بقاء هذا الدين عصياً على الزوال أو التحريف أو الانتقاص؛ ليدرك صدق كلام النبي ﷺ حين أخبر بوجود طائفة منافحة عن هذا الإسلام العظيم، وفي قدرتها على حماية الدين من التحريف أو التخريب، كيف لا وقد تكفل الله تعالى بحفظه؛ حيث قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُنِيرٌ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ الصف: ٨.

١ أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: لا تزال طائفة من أمتي . . .

■ الطائفة المنصورة:

يخبر النبي ﷺ عن طائفة ظاهرة بالحق؛ «ظاهرين على الحق»، وهذا التعبير يشير إلى أن هذه الطائفة ليست مستترة، ولا مخفية، وإنما واضحة ظاهرة يميزها من يبحث عن الحق، ويشير أيضاً إلى أن ظهور هذه الطائفة إنما كان لارتباطها بالحق؛ أي لأنها سارت على الحق ونصرته وأعلت شأنه، فإن الله تعالى قد نصرها؛ **قال تعالى:** ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ محمد: ٧، وهذا يفيد أن الذي ينحرف عن الحق ويغير ويبدل لا يشمل النص، فالنصرة مرتبطة بالثبات على الحق.

وقد وقف علماؤنا السابقون عند مسألة: (من هم المقصودون بهذه الطائفة؟)، فقال بعضهم: هم أهل العلم، وقال غيرهم: هم أهل الحديث، واختلفت وجهات نظرهم في المقصود بهذه الطائفة، لكن الذي يظهر أن المقصود ليس صنفاً محدداً، بل كل من نصر الإسلام في موقعه هو من هذه الطائفة، قال الإمام النووي -رحمه الله-: «يجوز أن تكون الطائفة جماعة من أنواع المؤمنين، ما بين شجاع وبصير بالحرب وفقه ومحدث ومفسر وقائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وزاهد وعابد، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين في بلد واحد، بل يجوز اجتماعهم في قطرٍ واحد وافتراقهم في أقطار الأرض».

وهذه الرؤية هي التي تتفق مع المنطق والصواب، فكل المدافعين عن الدين سواء أكانوا مجاهدين بسلاحهم أم مفكرين يكتبون بأقلامهم، أم مربيين لأجيال الأمة بعلمهم، أم مخترعين ينفعون الأمة بعقولهم، فكلهم من الطائفة التي أسهمت بشكل أو بآخر في نصرة الدين.

■ الثبات على المبدأ:

لا يمكن أن نتخيل أن هذه الطائفة يمكن أن تكون موجودة في الأمة دون أن تتعرض للابتلاء والامتحان، فكل من حمل لواء الحق لا بد أن يتعرض للأذى، ابتداءً من الأنبياء الذين هم أشرف الخلق، وصفوة الناس وانهاء الأولياء والصالحين والمجاهدين في سبيل الله.

ولأن حمل لواء الحق يعني تصحيح الباطل وتغيير المنكر الموجود في الأمة، فإن أهل الباطل لا يمكن أن يتركوا الحق وأهله يعملون دون أن يواجهوهم، ويقفوا في طريقهم، ولذلك وجب الثبات والصبر على الأذى وتحمل ما يمكن أن يقع على كاهل أهل الحق؛ مصداقاً لقوله تعالى: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (٢) ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴿ العنكبوت: ٢-٣.

وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا المعنى في هذا الحديث بقوله: «لا يضرهم من خذلهم»، وهذا يعني أن الأمر صعب، وسيؤدي إلى تخلي كثير من الناس عنهم وخذلانهم، وقد ورد في رواية أخرى للحديث: «ظاهرين على من ناوهم»؛ أي نهض لقتالهم.

لكن البشرى لهؤلاء الناس، أنهم المنصورون في الدنيا، الذين يثمر جهادهم ولا تضيع جهودهم، وأنهم أهل الفوز والفلاح في الآخرة، هؤلاء هم الذين جمعوا بين سعادة الدنيا والآخرة.

■ يد الله مع الجماعة:

يشير الحديث إلى أن الجهد المثمر هو الجهد الجماعي، ولذلك قال: (طائفة، ظاهرين، يضرهم، خذلهم) بصيغة الجمع، تنبيهاً إلى أهمية العمل الجماعي، فنهضة الأمة بحاجة إلى جهود كل أبنائها، فنحن -الفلسطينيين- مثلاً بحاجة إلى جهد المجاهد في ميدانه، والسياسي والمفكر والمدرّس، وكذلك جهود المخترعين والمؤلفين والأطباء... إلخ، فكلّ مَنْ يملك أمراً ينفع الأمة لا بدّ أن يقدمه، ولا يمكن لمشكلتنا أن تُحلَّ إذا ألقى الحِمْلُ على البعض، وجلس الباقون يشاهدون وكأن الأمر لا يعينهم.

■ حتى يأتي أمر الله:

ورد هذا النصّ في الحديث، فما المقصود بأمر الله؟، وما المقصود بالساعة كما جاء في بعض الروايات: «حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك»؟

حتى نفهم المقصود، لا بدّ أن نتطرق إلى حديث آخر يتضمن أنه: لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس^(١)؛ لأنّ ظاهره قد يوحي بالتناقض، فالحديث هنا يشير إلى بقاء الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة، والحديث الآخر يشير إلى قيام الساعة على شرار الخلق، ويمكن أن نزيل هذا التعارض الظاهري بأن نقول أنّ بقاء الطائفة المنصورة سيستمر إلى وقت قريب من الساعة، وهو الوقت الذي يأتي فيه أمر الله، بالأبداً يبقى على ظهر الأرض من أهل الإيمان أحد، وهذا ما ورد في بعض الأحاديث أنّ الله تعالى يرسل ريحاً طيبة تقبض أرواح المؤمنين، ولا يبقى على وجه الأرض إلا شرار الخلق^(٢)، وهكذا نرى أنّه لا يوجد تعارض، حيث يستمر وجود الطائفة المنصورة إلى وقت قريب من الساعة (أمر الله)، ثمّ يذهبون فلا يبقى إلا شرار الناس.

١ أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: لا تزال طائفة من أمتي

٢ المصدر السابق.

- ١ أكتب الحديث الشريف: «لا تزال طائفة الحديث».
- ٢ في هذا الحديث علامة على صدق النبوة، أوضّح ذلك.
- ٣ أضع إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (X) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:
 - أ () ثوبان راوي حديث (أهل الإيمان أهل الحق) أصله من الشام.
 - ب () يشترط في الطائفة المنصورة أن تعمل بالسّرّ أخذاً بالحيلة والحذر.
 - ج () المقصود بالطائفة المنصورة أهل الحديث.
- ٤ أعلل ما يأتي:
 - الثبات على المبدأ شرط للطائفة المنصورة.
 - الجهد الجماعيّ هو الجهد المثمر في الأمة.
- ٥ كيف نوفّق بين حديث الدرس، وحديث: «لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس»؟

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما، قومٌ معهم سيئاتٌ كأذنان البقر يضربون بها الناس، ونساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ مميلاتٌ مماثلاتٌ، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»^(١).

■ شرح الحديث:

■ معجزات الرسول ﷺ:

بعث الله محمداً ﷺ: -خاتم الأنبياء والمرسلين- رحمة للعالمين، وهداية للخلق أجمعين، وأيده بالمعجزات المادية والمعنوية.

أما المعجزات المادية فانقرضت بانقراض مَنْ شاهدها؛ لأنها كانت حسية، تُشاهد بالأبصار؛ كانشقاق القمر، وتكثير الماء والطعام وغير ذلك، وأما المعجزات المعنوية فتتمثل في القرآن الكريم كلام الله المعجز الخالد على مر الزمن، يشهد بصدق نبوته ﷺ: إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. وإن في سنته ﷺ إخباراً عن الغيوب، سواء أكانت عن أفراد أم عن أمة أم عن حوادث وقعت في الماضي أو ستقع في المستقبل، كل ذلك ينبئ أنه ﷺ نبي، أخبر بما لا يقدر عليه البشر، ولا سبيل لهم إليه إلا عن طريق نبيٍّ مؤيد بالوحي. وقد أُطلق على هذا النوع من السنّة إعجاز غيبي، وأطلق عليه البخاري: (علامات النبوة)، وأطلق عليه إمام أهل السنة والجماعة الإمام أحمد بن حنبل: (الآيات)، وأطلق عليه البيهقي: (دلائل النبوة)، وكلها تفيد معنى واحداً.

فالإعجاز الغيبي في السنّة أحاديث رسول الله ﷺ، التي اشتملت على الإخبار بالغيوب التي وقعت في الأمم السابقة قبل البعثة، وما وقع في حياته ﷺ، وما سيقع في المستقبل.

والحديث عن معجزاته ﷺ الغيبية، فقد أخبر عن هذين الصنفين اللذين لم يكونا في زمنه، ولم يرهما، والظاهر أن المراد من قوله: (لم أرهما) أنّهما لم يأتيا بعد، وهما من أهل النار، فهو من الإخبار بالغيوب، وقد وجد الصنفان كما أخبر به ﷺ، وفي الحديث ذم هذين الصنفين.

١ أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب اللباس والزينة، باب: النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات. ح رقم (١٢٥)، وفي صحيحه أيضاً: كتاب الجنة، باب النار يدخلها الجبارون.

■ قوله ﷺ: «قوم معهم سياط كأذنان البقر يضربون بها الناس»:

يشير الحديث إلى صنف من المجتمع يُعد ضربهم للناس ظلماً سبباً في تعذيبهم بالنار؛ لأنّ فعلهم كالجابرة المتسلطين على رقاب العباد.

فالضرب الذي يؤدي بصاحبه إلى أن يكون من أهل النار هو الضرب المبنيّ على الظلم واستخدام القوة والنفوذ بغير حقّ، أو تسلط الظلمة على رقاب أمّتهم دون وجه مشروع، فهذا ضرب لا يباح، بخلاف الضرب الذي يقصد به التأديب والتقويم؛ كالعقوبات التي يقرّها القضاء على المجرمين؛ لتأديبهم وردعهم عن إجرامهم، فهذه عقوبات ليست ممنوعة، إذ هي من مقاصد التشريع؛ لأنّ فيها حماية الدين، وأمن الناس على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم.

ويلحق بالضرب الممنوع شرعاً التضييق بالسجن، والتنكيل بالناس، فكل ذلك اعتداء على الآخرين بغير وجه حق.

■ قوله ﷺ: «ونساء كاسيات عاريات»:

أي يسترن بعض أجسادهن، ويكشفن بعضاً إظهاراً لجمالهن، أو يلبسن ثياباً رفاقاً أو ضيقة تصف ما تحتها، أو عليها من الحلي والملابس الفاخرة.

وهذا الوصف ينطبق على نساء اليوم من خروجهنّ بثياب رقيقة تظهر ما تحتها، أو ضيقة تصف جسدها. وخروجهن إلى الأسواق متبرجات سافرات بسلوك مخالف للأداب؛ **والله تعالى يقول: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾** الأحزاب: ٣٣.

■ قوله ﷺ: «مميلات مائلات»:

أي: مائلات في لباسهنّ وسلوكهنّ ومشيتهنّ وهيئتهنّ، مميلات لغيرهنّ من النساء بمحاولة تقليدهنّ، ومميلات للرجال؛ لأنّ هذا الفعل فيه إغواء لقلوبهم، واستدراجهم لسلوك طريق الانحراف، والتحليل الأخلاقيّ، وهذا ما نهى عنه الشرع.

ويزداد هذا الوصف شناعة بما تفعله هؤلاء النسوة في رؤوسهنّ وذلك بالتفنن في تسريحات الشعر ورفعها إلى أعلى، كأنه سنام الإبل، يتمايل مع مشيتها، أو ما يضعنه من العصابات على الرأس بقصد التكبير أو لفت الأنظار، وهذا متحقق في زماننا والعياذ بالله وهو ما ذكره الحديث: «رؤوسهن كأسنمة البخت».

■ قوله ﷺ: «رؤوسهن كأسنمة البخت»:

أي يكبرنها ويعظمها بلفّ عمامة أو عصابة أو نحوها أو جعل الشعر ضفائر، وشدّها فوق الرأس، فتأتي كأسنمة البخت، والأسنمة: جمع سنام، والبخت: الإبل الخراسانية، وهو ارتفاع الغرائر فوق رؤوسهنّ، وجمع العقائص هناك، وتكثيرها بما يضافر به حتى تميل ناحية الرأس كما يميل السنام، ويدخل في ذلك تسريحات الشعر، ورفعها إلى أعلى كأنه سنام الإبل الخراسانية، يتمايل مع مشيتهنّ، وقد كثر هذا في زماننا اليوم، والعياذ بالله.

■ كأسنمة البخت:

وهو من التشبيه الحسن الذي لا يحسنه إلا مَنْ شاهد تلك العمام، وقد أحسنه ﷺ مع كونه لم يشاهدها؛ لأنّ أسنمة البخت ليست صاعدة لفوق فقط، بل مع استدارة تلك العمام.

■ قوله ﷺ: «لا يدخلن الجنة»:

إنّ هؤلاء النساء المتصفات بما سبق لا يدخلن الجنة أبداً إن فعلن ذلك مُستَحِلَّات ما قمن به، ومما ينبغي التحذير منه في سياق الفهم للحديث أن إقدام النساء على فعل ما سبق من المعاصي أمر خطير ولا يعفيهنّ من ذلك الجهل والغفلة، بل لا بد من المبادرة إلى التوبة والرجوع إلى أمر الله حتى لا يُحرَمَنَّ من دخول الجنة.

■ ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا:

وهذا الحرمان لهنّ من ريح الجنة في غاية الشقاء لهنّ، ولمن يفعل مثلهنّ، بالإضافة إلى عذابهنّ بالنار. والعياذ بالله.

فعلى الآباء والأزواج، ومَنْ له ولاية على النساء أن يوجهنّ إلى الالتزام بالحشمة والأدب، وأن يلتزم بما أمر به الشارع في لباسهنّ وسلوكهنّ، وإنّها لمسؤوليّة عظيمة، ولنُسألَنَّ عن ذلك يوم الدين.

■ يستفاد من الحديث:

- ١ الحديث فيه إخبار بغيب المستقبل، وهو من دلائل نبوته ﷺ.
- ٢ تحريم ضرب الناس وتعذيبهم إلا بحق شرعيّ.
- ٣ انتشار الظلم والفساد في آخر الزمان.
- ٤ تجرد النساء من الحياء في لباسهنّ وسلوكهنّ في آخر الزمان.
- ٥ ارتباط الاستبداد والفساد السياسي بالفساد والانحلال الأخلاقي.

- ١ أكتب الحديث الشريف: قال رسول الله، ﷺ: «صنفان من أهل النار الحديث».
- ٢ أيبّن معنى ما يأتي:
 - كاسيات عاريات
 - ميملات مائلات
 - أسنمة البُخت.
- ٣ أوّضح المعجزة التي جاء بها الحديث الشريف.
- ٤ أيبّن دلالة المعجزة التي ذكرها الحديث الشريف.
- ٥ أذكر ثلاث فوائد للحديث الشريف.

عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله!، أيُّ مسجدٍ وضعَ في الأرضِ أولُ؟ قال: «المسجد الحرام»، قلت: ثم أيُّ؟ قال: «المسجد الأقصى»، قلت: كم بينهما؟، قال: «أربعون سنة، وأينما أدركتك الصلاة فصلّ، فإنّه مسجد»^(١).

راوي الحديث:

أبو ذرٍّ الغفاريّ جُنْدَب بن جنادة، صحابيٌّ جليل، أحد السابقين الأولين، كان رأساً في العلم والزهد والجهاد وصدق اللهجة والإخلاص، يصدع بالحقّ وإن كان مرّاً، قال رسول الله ﷺ: «يرحم الله أبا ذرٍّ، يعيش وحده، ويموت وحده»^(٢)، وكانت وفاته بالربذة سنة اثنتين وثلاثين هجرية.

شرح الحديث:

■ قد جعل الإسلام لبعض الأماكن والأزمنة مكانة عظيمة، و قدسيّة تدل على فضلها على غيرها عند المسلمين.

وظاهر هذا الحديث الإخبار بثلاثة أحكام:

- الأول: أنّ المسجد الحرام هو أول مسجد وُضع في الأرض للصلاة، وهذا يفسر المراد من قوله **تعالى**: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ آل عمران: ٩٦.
- والثاني: أنّ المسجد الأقصى وُضع بعده، وبينهما أربعون سنة.

■ مكانة المسجد الحرام والمسجد الأقصى:

في هذا الحديث دلالة واضحة على عظيم فضل هذين المسجدين في الإسلام، وعلى قدسيّتهما. ويُلزم المسلمين أن يحافظوا عليهما من العادين، بل ويفرض علينا التضحية بالغالي والنفيس في سبيل تحرير ما احتلّ منها، فهي موضع عبادتهم، وأمانة في أعناقهم، فما ينبغي أن يتقاعس المسلمون قاطبة في مشارق الأرض ومغاربها عن تحرير المسجد الأقصى، فهو ثاني مسجد وضع في الأرض،

١ أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب يزفون النسلان في المشي . ومسلم في صحيحه : كتاب المساجد ومواطن الصلاة .

٢ أخرجه ابن سعد في «طبقاته» (٤/٢٣٤) . قال الألباني : ضعيف .

وهو أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، وتحريره مسؤولية المسلمين جميعاً، وسُنْأَلُ جَمِيعاً
عن ذلك؛ **قال تعالى:** ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ الشعراء: ٨٨ - ٨٩.

نشاط:

أَيِّنْ مَتَى وَقَعَ الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى تَحْتَ الْاِحْتِلَالِ، وَمَنْ حَرَّرَهُ؟

• الثالث: جُعِلَتِ الْأَرْضُ لَنَا مَسْجِداً وَطَهوراً:

قوله ﷺ: (مسجداً)؛ أي: موضع إقامة الصلاة؛ لأنَّ كُلَّ مَوْضِعٍ يَصَلِي فِيهِ فَهُوَ مَسْجِدٌ؛ أي: موضع سجود، وكانت الأمم قبلاً، لا يفعلون الصلاة إلا في المواضع التي بنيت لها. وفي هذا بيان فضل سيدنا محمد ﷺ، وفضل أمته على من تقدم، يؤخذ ذلك من تيسير العبادة عليهم، بأن جُعِلَتِ لَهُمُ الْأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهوراً، ولم يكن ذلك لمن تقدم من الأمم. وقد بين الرسول ﷺ في قوله: «وأينما أدركتكم الصلاة فصل، فهو مسجد» جواز الصلاة في جميع المواضع إلا ما استثناه الشرع من الصلاة في المقابر، وغيرها من المواضع التي فيها نجاسة؛ كالمزبلة والمجزرة، وكذا ما نهى عنه لمعنى آخر. وفي الحديث إشارة إلى المحافظة على الصلاة في أول وقتها؛ «وأينما أدركتكم الصلاة فصل، فهو مسجد»، ويتضمن ذلك الندب إلى معرفة الأوقات. وفي الحديث دليل على أن حسن النية في السؤال تُعَقَّبُ زِيَادَةٌ خَيْرٌ عَلَى مَا قَصَدَهُ، يؤخذ ذلك من كون الصحابيِّ رضي الله عنه لما سأل سيدنا محمداً ﷺ أن يخبره عن أول مسجد وضع في الأرض أول؟، فزاده ﷺ بأن أخبره بهذا الخبر العظيم، وهو أنه جعل الأرض لنا مسجداً وطهوراً.

■ المدة بين بناء المسجد الحرام والمسجد الأقصى:

أفاد ظاهر الحديث أن المدة بين بناء المسجد الحرام والمسجد الأقصى أربعون سنة، ولم ينص الحديث على مَنْ بناهما.

حول هذه المدة التي ذكرها الحديث الشريف أثار ابن الجوزي إشكالاً، فقال: «فيه إشكال؛ لأن إبراهيم بنى الكعبة بنص القرآن؛ **قال تعالى:** ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ ﴿١٢٧﴾ البقرة: ١٢٧، وسليمان بنى بيت المقدس، وبينهما أكثر من ألف سنة».

ومستنده في أن سليمان رضي الله عنه هو الذي بنى المسجد الأقصى ما رواه النسائي^(١) من حديث عبد الله بن

١ في سننه: ٣٧/٢، كتاب المساجد، باب فضل المسجد الأقصى والصلاة فيه، ح رقم (٦٨٩).

عمرو بن العاص مرفوعاً بإسناد صحيح، كما قال ابن حجر: «إنَّ سليمان لما بنى بيت المقدس سأل الله تعالى خلافاً ثلاثاً...».

وجوابه: أن الإشارة إلى أول البناء، ووضع أساس المسجد، وليس إبراهيم أول مَنْ بنى الكعبة، ولا سليمان أول مَنْ بنى بيت المقدس.

ويرتفع الإشكال، كما قال القرطبيّ بأن يقال: «إنَّ الآية والحديث لا يدلان على بناء إبراهيم وسليمان لما بيّنا ابتداء وضعهما لهما، بل ذلك تجديد لما أسسه غيرهما، وبدأه».

وقد روي أن أول مَنْ بنى البيت آدم، وعلى هذا فيجوز أن يكون غيره من ولده وضع بيت المقدس من بعده بأربعين عاماً.

وقال ابن حجر: «وقد وجدت ما يشهد له؛ -أي أن أول من بنى البيت الحرام آدم- ويؤيد قول مَنْ قال: إنَّ آدم هو الذي أسس كلاً من المسجدين»، ذكر ابن هشام في كتاب (التيجان): أن آدم لما بنى الكعبة أمره الله بالسير إلى البيت المقدس، وأن بينه؛ فبناه، ونسك فيه».

■ يستفاد من الحديث:

- ١ أن أول مسجد وُضع في الأرض المسجد الحرام، ثم المسجد الأقصى وبينهما أربعون سنة.
- ٢ أن آدم ﷺ هو الذي بنى الكعبة (البيت الحرام)، ثم أمره الله بالسير إلى بيت المقدس، فبناه ونسك فيه.
- ٣ أن الفضل في فعل الصلاة إذا حضر وقتها.
- ٤ أن الأرض كلها مسجد وطهور لنا نحن المسلمين.
- ٥ أن للعالم أن يجيب السائل بأكثر مما سأل عنه، إذا كان فيه فائدة للسائل.

التقويم

- ١ أكمل ما يأتي: عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أي مسجد وُضع في الأرض أول؟ ...
- ٢ أذكر أول مسجد وضع في الأرض، مع الدليل.
- ٣ أذكر أول مَنْ بنى المسجد الحرام والمسجد الأقصى.
- ٤ أوضّح ما يُفيد قوله ﷺ: «وأينما أدرتكَ الصلاة فصل».
- ٥ كيف أزيل الإشكال الذي أثاره ابن الجوزي في قوله ﷺ: «وبينهما أربعون سنة».
- ٦ أستنبط أربع فوائد دلَّ عليها الحديث الشريف.

عن زيد بن خالد الجهني قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ خَلَفَهُ فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ عَزَا»^(١).

راوي الحديث:

زيد بن خالد الجهني، صحابي جليل شهد الحديبية، وكان معه لواء جهينة يوم الفتح، توفي سنة ٦٨ هـ بالمدينة المنورة.

شرح الحديث:

الحث على حماية الدين:

إن الإسلام دين الرحمة والخير، هدفه إنقاذ الناس من البؤس والذل ونقلهم إلى رحاب الرضا والأمان والطمأنينة والسعادة، والأخذ بأيدي المظلومين والمحرومين ونصرهم، ووضع حد للعتاة والجابرة المتسلطين من بني الإنسان، ومحاولة علاجهم وتنظيف قلوبهم من الران والصدأ الذي علاها، لعل الله يفتح هذه القلوب فتحاً يجعل الخير يتسلل إليها ويطهرها مما هي فيه؛ لتصبح نقيّة تنأى عن إيذاء بني البشر. لأجل هذا فالمسلم في جهاد متواصل ونفير عام لا يهدأ له بال حتى تنعم البشرية بالأمن والسلام؛ لذا فشيوخه وشبابه الأطهار يتسابقون للجهاد والغزو والنفير العام في سبيل هذا الهدف النبيل، لتبقى راية الحق مرفوعة يعيش الناس في أفيائها آمينين، قال رسول الله ﷺ: «من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من نفاق»^(٢)، وما دعوة رب العالمين عباده للنفير العام إلا دلالة واضحة على أن الاستقرار في الأرض لن يتحقق بغير الجهاد؛ فيقول عز وجل: ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(التوبة: ٤١)، ولأن الغازي والمجاهد في سبيل الله بطل وعلم لأبناء أمته وشعبه، فقد حث رسول الله ﷺ على التسابق في خدمته وتقديم العون له ولأهله من بعده.

١ أخرجه البخاري في كتاب فضائل الجهاد والسير، باب فضل من جهز غازياً. ومسلم في كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله، والترمذي في سننه: كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل من جهز غازياً. وقال: حسن صحيح.
٢ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب ذم من مات ولم يقم... ح ١٥٨.

■ «مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا أَوْ خَلْفَهُ فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا»:

مَنْ قَدَّمَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لِمَنْ نَوَى الْغَزْوَ وَالْجِهَادَ وَمِنَاظِلَةَ الْأَعْدَاءِ الدَّعْمَ الْمَادِّيَّ مِنْ سِلَاحٍ وَعِتَادٍ وَطَعَامٍ وَوَسِيلَةَ نَقْلِ، وَكَذَلِكَ الدَّعْمَ الْمَعْنَوِيَّ بِحِمَايَةِ ظَهْرِهِ وَتَعْمِيَةِ أَعْيُنِ مَنْ يَتَابِعُونَهُ مِنَ الْأَعْدَاءِ، وَإِيَوَائِهِ فِي حَالِ مَطَارِدَةِ الْعَدُوِّ لَهُ، إِضَافَةً لِحِمَايَةِ أَهْلِهِ الَّذِينَ تَرَكَهُمْ خَلْفَهُ، إِنَّ مَنْ اعْتَنَى بِأَهْلِهِ فِي غَيْبَتِهِ وَقَدَّمَ لَهُمْ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنْ أُمُورِ الْحَيَاةِ، وَأَيَّ أَمْرٍ فِيهِ خَيْرٌ وَإِحْسَانٌ، وَكَذَا فِي مَسَانِدَتِهِمْ وَرِعَايَتِهِمْ وَالْحِرْصَ عَلَى تَرْبِيَتِهِمْ فِي غَيْبَةِ وَالِدِهِمْ، مَنْ قَامَ بِهَذَا الْوَاجِبِ وَخَلْفَ الْمَجَاهِدِ فِي أَهْلِهِ؛ أَيَّ قَامَ مَقَامَهُ فِي الْعِنَايَةِ وَالرِّعَايَةِ، فَكَأَنَّهُ غَزَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مِثْلَ الْمَجَاهِدِ فِي أَرْضِ الْمَعْرَكَةِ حُكْمًا؛ لِمَا لَهُ مِنْ عَظِيمِ الْأَجْرِ عَلَى مَا قَدَّمَ وَسَانَدَ.

ولو وَجَدَ كُلُّ مَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ أَبْنَاءِ أُمَّتِهِ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا هَذَا الدَّعْمَ وَالْمَسَانِدَةَ لِتَسَابِقِ أَبْنَاءِ الْأَوْطَانِ فِي الذُّودِ عَنِ حِيَاضِ الْأُمَّةِ، وَلِتَحْرُرِ الْأَوْطَانِ مِنْ رَجَسِ الْمُسْتَعْمَرِ، وَلَوْجَدْنَا شَبَابَ هَذِهِ الْأُمَّةِ فِي سَاحَاتِ الْإِعْدَادِ وَالرِّبَاطِ بَدَلَ ضِيَاعِ أَعْمَارِهِمْ فِي سَاحَاتِ اللَّهْوِ وَالغَفْلَةِ وَالضِّيَاعِ. لَقَدْ نَصَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالشَّبَابِ يَوْمَ أَنْ رَافَهُمْ عَلَى هَذَا الْعَطَاءِ وَعَلَى بَذْلِ الْغَالِيِ وَالنَّفِيسِ مِنْ أَجْلِ دِينِهِمْ، فَعَزَّوْا وَعَزَّتْ أُمَّتُهُمْ وَأَوْطَانُهُمْ بِهِمْ؛ لِذَا فَقَدَ أَوْصَانَا ﷺ بِالشَّبَابِ تَرْبِيَةً وَتَعْلِيمًا وَإِعْدَادًا. إِنَّ أَجْرَ الْمَشَارَكَةِ فِي الْجِهَادِ يَحْصُلُ بِكُلِّ جِهْدٍ قَلِيلًا كَانَ أَوْ كَثِيرًا وَبِقَدْرِ الْجِهْدِ وَإِخْلَاصِ النِّيَّةِ يَكُونُ الْأَجْرُ، قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: «يَحْصُلُ الْأَجْرُ الْكَامِلُ لِمَنْ جَهَّزَ الْمَجَاهِدَ تَجْهِيزًا كَامِلًا»، وَهَذَا تَفْسِيرُ قَوْلِهِ ﷺ:

وقال آخرون: «يستوي الداعم مع المجاهد في الأجر حتى تنتهي الغزوة».

نشاط:

بالرجوع إلى مصادر السيرة، أيبّن عناية رسول الله بالشباب وإعدادهم.

■ يستفاد من الحديث:

- ١ حماية المجاهدين وتقديم كل ألوان الدعم لهم .
- ٢ الحثّ على الإحسان لمن فعل ما فيه مصلحة للمسلمين .
- ٣ الأوطان تحميها السواعد المجاهدة .
- ٤ لا عزّ للأمة إلا بالجهاد .
- ٥ تقديم العون المادي والمعنوي لأسر الشهداء والمجاهدين والأسرى .

- ١ أكتب حديث الرسول ﷺ: «مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا الحديث» .
- ٢ أوضِّح معاني المفردات الآتية:
 ■ جَهَّزَ ■ خلفه ■ غزا
- ٣ أبيِّن المقصود بقوله ﷺ: «فقد غزا» .
- ٤ أترجم لراوي الحديث الشريف .
- ٥ أبيِّن بعض ما يرشد إليه الحديث .
- ٦ أعلل : خلافة الغازي في أهله بخير بمثابة تعدل الغزو في سبيل الله .

عن المقدم بن معدي كرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «للشهيد عند الله ست خصال: يُغفر له في أول دفعة، ويُرى مقعده من الجنة، ويُجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويُشفع في سبعين من أقاربه»^(١).

راوي الحديث:

المقدم بن معدي كرب بن عمرو الكندي، أبو كريمة، وقيل: أبو يحيى، صحابي جليل، نزل الشام، ومات سنة سبع وثمانين على الصحيح من أقوال العلماء، وله واحدة وتسعون سنة.

■ شرح الحديث:

■ منزلة الشهادة:

الشهادة مقام عظيم ومنزلة عالية أعدها الله تعالى لصنف من عباده اختارهم بكرمه ليكونوا من أهلها، فالشهادة هي شكل من أشكال الاصطفاء والاختيار، فإذا رأى الله تعالى صدقاً في قلب العبد، وحباً للتضحية والفداء، وأنه يستحق أن يكون من أهل هذه المرتبة، عندئذٍ فإن الله تعالى يتخذه شهيداً؛ فهو **القاتل سبحانه: ﴿وَيَتَّخِذُ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾** آل عمران: ١٤٠.

والشهادة من المنازل التي امتدحها الله تعالى، واعتبر أهلها من الذين أنعم عليهم؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ النساء: ٦٩.

ومن أهم الدلائل على رفعة هذه المنزلة أن الله تعالى جعل أهلها أحياء حتى بعد رحيلهم عن هذه الدنيا، بل أنكر على الذين يطلقون على الشهيد لفظ الميت؛ **قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾** البقرة: ١٥٤، فهم ليسوا أمواتاً بل أحياء بحياة خاصة الله أعلم بحقيقتها.

١ أخرجه الترمذي في سننه: كتاب فضائل الجهاد، باب في ثواب الشهيد، وقال حديث حسن صحيح غريب.

■ أجر الشهيد:

يبين الحديث الذي بين أيدينا كرم الله تعالى الذي أعده للشهداء من عباده، جزاءً على ما فعلوه وقدموه في سبيله سبحانه وتعالى، والحديث في البداية ينصّ على أنّ الله تعالى أعطى الشهيد ستّ خصال، ولكن عند التعداد نجد أنّها سبعة، إلا أن يكون قد اعتبر الإجارة من عذاب القبر، والأمن من الفرع الأكبر واحدة، على اعتبار أنّهما في السياق نفسه، شكل من أشكال الأمان الممنوح للشهيد.

والخصال المذكورة في الحديث هي:

■ أولاً: يغفر له في أول دفعة:

وهذا من أشدّ ما يحتاجه الإنسان الذي لم يجعل الله له العصمة في الحياة، فهو يقع في الخطأ لا محالة؛ لأنّ الضعف مركب فيه، ومهما بلغت هذه الذنوب فالشهادة تكفرها، اللهم إلا حقوق العباد؛ كالديون مثلاً، فلا تسقط إلا بإعادتها لأصحابها، أو بمسامحتهم وتنازلهم عن حقوقهم، وهذا الأمر هو فاتحة البشارة، إذ يتكرم الله تعالى على الشهيد بالمغفرة وهو ما يزال على قيد الحياة، فالجسد ما زال ينبض بالحياة والدم ينزف، والرحمة والمغفرة تنزل، وتعبير الحديث بـ(أول دفعة)؛ أي عند قطرات الدم الأولى التي تنزل من جسد الشهيد، والدفعة: هي ما يدفع دفعاً؛ كدفعة الماء؛ أي ما انصب من إناء أو سقاء؛ كالدفعة.

■ ثانياً: يرى مقعده من الجنة:

وهذا ترتيب منطقيّ فمغفرة الذنوب أولاً، حتى يصير هذا الشهيد طاهراً من كلّ ذنب، ثمّ يرى مقعده من الجنة، وهذه الرؤية تعني بالضرورة أنّه من أهل الجنة؛ أي أنّه لن يخضع لما سيخضع له باقي الناس من حساب وعرض ومعرفة المصير بعد ذلك، بل هو قطع مسبق ومعرفة أكيدة بدخوله الجنة. ورؤية الشهيد لمقعده في الجنة هي من باب الكرامات؛ إذ إنّ ما زال هنا على الأرض ولم تقم القيامة، وهذا فتح لباب من أبواب الغيب، حيث ترى عينا الشهيد مكانه الذي أعده الله تعالى له على الحقيقة، وليس على سبيل التمثيل والتخييل.

■ ثالثاً: يجاز من عذاب القبر ويأمن من الفرع الأكبر:

وجمعنا الأمرين معاً؛ لأنهما في باب واحد، وهو وضع الشهيد في جوّ من الأمان، فلا عذاب في القبر ينتظره، ولا أهوال القيامة تفرعه، ولأنّ هذا يتناسب مع تقسيم الحديث إلى خصال ستّ.

وهذه الخصلة من أكبر ما يهيم المسلم في هذه الحياة، فهو دائماً يستعيد بالله من عذاب القبر، الذي قد يتحول على صاحبه إلى حفرة من حفر النار، وهو مؤشر على ما بعده، فإن كان يسيراً فما بعده أيسر، وإن كان عسيراً فما بعده أعسر.

وكذلك أهوال القيامة التي تفرغ البشر، الذين يُحشرون لربهم حفاة عراة في خوف وفزع، باستثناء فئة مخصوصة يقف الشهداء على رأسهم، وهم المحظوظون بالجنة؛ **قال تعالى:** ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَةً وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿الأنبياء: ١٠١-١٠٣﴾.

■ رابعاً: يوضع على رأسه تاج الوقار:

وهذه خصلة مادية حقيقية، وليست من باب التكريم النفسي والمعنوي؛ أي يوضع على رأس الشهيد يوم القيامة تاج حقيقي، وهو علامة وقار وهيبة وإبراز لمقام هذا الإنسان، وقد ورد في رواية أخرى: «ويُحلى حلة الإيمان»؛ أي يلبس ملابس خاصة تدل على إيمانه.

والتاج في الدنيا إنما يلبسه الملوك، فكأنها إشارة إلى أنّ الشهيد يأتي يوم القيامة في مقام رفيع، فهو كالملك على الناس.

ثم يصف النبي ﷺ هذا التاج بأنه مرصع بالياقوت، وهو من أنفس الحلي، لكنه ياقوت آخر، إنه ياقوت الجنة، حيث الياقوتة الواحدة خير من الدنيا وما فيها؛ أي في قيمتها وجمالها ومتعة النظر إليها.

■ خامساً: يزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين:

الحور العين هن نساء أهل الجنة، خلق بديع، وجمال أخذ لم تره عين الإنسان في الدنيا؛ «ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاعت ما بينهما ولملأته ريحاً، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها»^(١)، والنصيف: هو الخمار الذي تضعه الحورية على رأسها.

وإذا سأل سائل: الحور العين جزاء الشهداء من الرجال، فما جزاء الشهداء من النساء؟ والجواب: إن تعدد الحور العين في الجنة يتفق مع أصل الفطرة التي خلق عليها الإنسان، إذ يعقل أن تتعدد الزوجات، ولكن لا يعقل أن يتعدد الأزواج، وكذلك ثقتنا بأن الله تعالى عدل حيث يعطي النساء من النعيم ومتع الجنة ما يعادل نعمه المتعدد عند الرجال، والله سبحانه وتعالى يعطي النساء،

١ أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب الحور العين.

بعده وهذا من باب حكمته، فهو سبحانه وتعالى يوزع نعمه وعطاءه على عباده وفق ما تقتضيه حكمته وما تقتضيه مصلحتهم، وقيمة العطاء يوم القيامة مرتبطة بما قدم الإنسان من عمل، وليس بجنسه رجلاً كان أو امرأة؛ قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات: ١٣ .

■ سادساً: يُشَفِّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ:

وهذه الخصلة تُظهِرُ مدى الخير الذي يجلبه الشهيد ليس لنفسه فقط، وإنما لأهله أيضاً، وهذا من باب الجزاء على صبرهم وحزنهم وألمهم لفراقه، فأقارب الشهيد هم الذين يفتقدونه ويتألمون لفراقه، فكان من عدل الله تعالى أن ينالهم من الخير والسعادة كما نالهم الحزن والألم في الدنيا، وهذا فيه إعلاء لمكانة أسر الشهداء وفضلهم، ولفتة للناس ليهتموا بهم، فإنَّ الله تعالى لا ينساهم من فضله . ومعنى الشفاعة هنا، أنَّ الله تعالى يعطي الشهيد حقَّ اختيار سبعين من أقاربه؛ لينالوا شرف دخول الجنة بصحبة قريتهم الشهيد، حتى وإن كانوا أصحاب معاصٍ، فالله تعالى يعفو عنهم إكراماً لشهيدهم .

التقويم

- ١ أكمل نصَّ الحديث الشريف: «لشَّهيد عند الله ستّ الحديث» .
- ٢ أضع إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (X) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:
 - أ () المقدم بن معدي كرب تابعي جليل .
 - ب () الشهداء في حالة ما بين الحياة والموت .
 - ج () التاج الموضوع على رأس الشهيد تاج حقيقي وليس مجازياً .
 - د () يشفِّع الشهيد في سبعين من أقاربه حتى وإن كانوا عصاة .
- ٣ أعدّد الخصال التي أعدها الله تعالى للشهداء .
- ٤ أترجم لراوي الحديث الشريف .
- ٥ أعلل ما يأتي:
 - يعطي الله تعالى الشهيد ما لا يعطيه لغيره .
 - للشَّهيد الرجل اثنتان وسبعون زوجة، أمَّا الشَّهيدة فليس لها إلا زوجها .
 - يشفِّع الشهيد في سبعين من أهله مع أنَّه هو المضحّي .
 - ذُكر في الحديث سبع خصال مع أنَّه جاء في بداية الحديث أنَّها ستّ خصال .

عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لَا يَرْحَمِ النَّاسَ لَا يَرْحَمَهُ اللَّهُ»^(١).

راوي الحديث:

جرير بن عبد الله بن جابر البجلي، صحابي مشهور، أسلم في شهر رمضان سنة عشر من الهجرة، وهي السنة التي توفي فيها رسول الله ﷺ، وكان سيداً في قومه، وبسط له رسول الله ﷺ ثوباً ليجلس عليه وقت مبايعته له، وقال لأصحابه: «إِذَا أَتَاكُمْ كَرِيمٌ قَوْمِ فَأَكْرَمُوهُ»^(٢)، ووجهه إلى الخَلَصَة، طاغية دوس، فهدمها، ودعا له حين بعثه لها، وشهد جرير مع المسلمين المدائن، ولما مُصِّرَت الكوفة نزلها، فمكث بها إلى خلافة عثمان، ثم بدت الفتنة، وانتقل إلى قرقيسيا، فسكنها إلى أن مات سنة واحدة وخمسين، وقيل: بعدها، ودفن فيها.

■ شرح الحديث:

الرحمة: الرقة والتعطف، وهي صفة من صفات الله تعالى، فهو المسمى بالرحمن الرحيم، والرحمة صفته التي وسعت كل الكائنات؛ قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ الأعراف: ١٥٦. والشقي من لم تدركه رحمة الله تعالى، لا لأنها تقصر عنه، وإنما لأنه تنكب الطرق الموصلة إليها، وعاند ربه حتى لم يترك باباً، أو مدخلاً للرحمة.

الرحمة الموجودة بين الخلائق هي جزء من مئة جزء من الرحمة التي عند الله؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «جعل الله الرحمة في مئة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءاً، وأنزل في الأرض جزءاً واحداً، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلق، حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه»^(٣)، فبهذا الجزء يتراحمون، وتعطف الوالدة على ولدها، والوحش والطير بعضها على بعض. فرحمة الآباء والأمهات، ورحمة الإنسان بالضعفاء والمساكين، ورحمة الحيوانات بأولادها ما هي إلا من مظاهر رحمته سبحانه وتعالى، وما ادخر لنا يوم القيامة خير لنا.

١ أخرجه مسلم: كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان. والترمذي في سننه: كتاب البر والصلة / باب ما جاء في رحمة الناس. وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

٢ أخرجه ابن ماجه: كتاب الأدب، باب إذا أتاكم كريم قوم فأكرموا. وقال الألباني: حسن.

٣ أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب جعل الله الرحمة في مئة جزء.

ويمثل النبي ﷺ رحمة الله تعالى بموقف حدث أمامه في الحديث الذي رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قدم على النبي ﷺ سبي، فإذا امرأة من السبي تحلب ثديها لتسقي، إذا وجدت صبياً في السبي أخذته فألصقته بطنها، وأرضعته، فقال لنا النبي ﷺ: «أترون هذه طارحة ولدها في النار؟، قلنا: لا، وهي تقدر على ألا تطرحه، فقال: لله أرحم بعباده من هذه بولدها»^(١).

■ مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ لَا يَرْحَمُهُ اللَّهُ:

الرحمة من صفات الله سبحانه وتعالى أوجبها على خلقه، وأمرهم بها، وتوعد من تركها في سلوكه مع الناس بأن الله سيحرمه من رحمته، وهذا ما دل عليه ظاهر الحديث، فالقساة لن تنالهم رحمة الله، لماذا؟

لأن أصل الدين يقوم على أمرين:

١ تعظيم الخالق.

٢ الرحمة بالمخلوق.

ولذلك نرى أن الله تعالى رتب الأجر العظيم للقائمين على عبادته، من صيام وصلاة وقيام، وغيرها، وهذا هو الأمر الأول: (تعظيم الخالق).

والأمر الثاني: (رحمة المخلوق): فإننا نجد أحاديث نبوية كثيرة تدل على أجر كبير لا يقل أجراً عن الأمر الأول، بل إننا نجد أن الله تعالى يغفر الذنوب والكبائر لبعض عباده؛ لأنهم قاموا بأمر فيه رحمة بالناس أو البهائم، ومن ذلك:

- أن الله تعالى غفر لرجل كان يداين الناس ويتجاوز عن المعسر منهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كان تاجر يداين الناس، فإذا رأى معسراً، قال لفتيانه: تجاوزوا عنه لعل الله أن يتجاوز عنا، فتجاوز الله عنه»^(٢).

- ورجل يغفر الله له؛ لأنه سقى كلباً، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بيننا رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش، فوجد بئراً، فنزل فيها فشرب، ثم خرج فإذا كلب يلهث، يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: قد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي، فنزل البئر فملاً خفه، ثم أمسكه بفيه، فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له، قالوا: يا رسول الله: وإن لنا في البهائم أجراً؟، فقال: «في كل ذات كبد رطبة أجر»^(٣).

١ متفق عليه.

٢ أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب البيوع، باب من أنظر معسراً، ومسلم في صحيحه: كتاب المساقاة، ح رقم (٣١) - ١٥٦٢.

٣ أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم.

- وامرأة سترها الله من النار؛ لإيثارها ابنتيها على نفسها، فعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: جاءتني امرأة، معها ابنتان تسألني، فلم تجد عندي غير تمر واحدة، فأعطيتها، فقسمتها بين ابنتيها، ثم قامت، فخرجت، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته، فقال: «مَنْ يَلِي مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ شَيْئاً، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ كُنْ لَهُ سِتْراً مِنَ النَّارِ»^(١).
 - وصلة الرحم تبسط في الرزق، وتعمر الديار، وتزيد في الأعمار، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»^(٢).
 - وعن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم: «صلة الرحم، وحسن الجوار، وأحسن الخلق يعمران الديار، ويزيدان في الأعمار»^(٣).
 - والتراحم سبب لنيل رحمة الله تعالى، ففي حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه: «وإنما يرحم الله من عباده الرحماء»^(٤).
 - وعدم رحمة الحيوان سبب في دخول النار، فعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض»^(٥).
- وإذا أنعمنا النظر في الأحاديث النبوية التي تشكل أصلاً من أصول الدين، ومصدراً من مصادر الشريعة الإسلامية، نجد أن معية الله تعالى تكون مع الذين يساعدون إخوانهم، ويقفون معهم رحمة بهم، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة ففرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»^(٦).

■ رحمة الله وسعت كل شيء:

رحمة الله واسعة تشمل كل المسلمين، وما على المسلم إلا أن يلتزمها بعمل صالح، أو موقف شريف، أو عبادة خالصة له تعالى؛ قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الأعراف: ١٥٦ .
وينبغي التنبيه إلى أن الرحمة تشمل أيضاً أصحاب الذنوب، فهم أحوج الناس إلى رحمة الله طالما أنهم في دائرة الإيمان، ولم يرتكبوا من أعمال الكفر أو الشرك ما يحجب عنهم هذه الرحمة .

١ أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله أو معانفته .

٢ أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأدب، باب مَنْ بُسِطَ لَهُ فِي الرِّزْقِ بِصَلَةِ الرَّحِمِ .

٣ أخرجه الإمام أحمد في مسنده: بسند رجاله ثقات ح ٦ ص ١٥٩ برقم ٥٩٨٥ .

٤ أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب الجنائز، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: ويعذب الميت بكاء أهله عليه .

٥ متفق عليه .

٦ متفق عليه .

أما مَنْ كُتِبَ عليهم الشقاوة، وأدركهم غضب الله، فهذا ليس من باب الظلم، ولا من باب حظهم العاثر، وإنما هو بما كسبته أيديهم من كفر أو شرك أو ظلم للناس، أو عدم رحمة الآخرين، فكما أن الله غفور رحيم، فإنه سبحانه وتعالى شديد العقاب، فهو رحيم بعباده الطائعين، شديد العقاب للمعاندين؛ **قال تعالى:** ﴿ نَجِّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾ الحجر: ٤٩ - ٥٠ .

■ يستفاد من الحديث:

- ١ من يرحم الناس يرحمه الله .
- ٢ رحمة الله بين عباده جزء يتراحم به العباد من مئة جزء .
- ٣ أن رحمة الله واسعة تشمل الإنسان والحيوان .
- ٤ أن رحمة الخلق سبب لغفران الذنوب ودخول الجنة .

التقويم

- ١ أضع إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (X) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :
 - أ () تشمل الرحمة أصحاب الذنوب : الصغائر منها والكبائر، ما لم يُشركوا .
 - ب () تشمل الرحمة فئة خاصّة من الناس .
 - ج () تشمل الرحمة الإنسان والحيوان .
- ٢ أذكر ثلاثة أمثلة من السنّة النبويّة على أن الرحمة سبب في غفران الذنوب ودخول الجنة .
- ٣ في ضوء مفهوم الرحمة، أبين المقصود في **قوله تعالى:** ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ .
- ٤ أستنبط ثلاثة دروس وعبر من الحديث الشريف .

المصادر والمراجع

- ١ أحكام الجريمة والعقوبة في الشريعة الإسلامية، د. محمد أبو حسان، مكتبة المنار - الأردن، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م.
- ٢ أسباب اختلاف المحدثين، خلدون الأحذب، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٠٧ - ١٩٨٧ م.
- ٣ الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، لابن كثير. أحمد شاكر، طبع محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة، ط ٢، ١٣٧٠ هـ وفق ١٩٥١ م.
- ٤ تدريب الراوي شرح تقريب النواوي، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة القاهرة بمصر، ط ١، ١٣٧٩ هـ وفق ١٩٥٩ م.
- ٥ تقريب التهذيب، للإمام الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، ط ١، ١٤٠٦ هـ وفق ١٩٨٦ م.
- ٦ التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح، للعراقي، حلب، سوريا.
- ٧ التمهيد في علوم الحديث، د. همام عبد الرحيم سعيد، دار الفرقان، ط ١، ١٩٩٢ م.
- ٨ تهذيب التهذيب، للحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ٧٧٢هـ-٨٥٢هـ
- ٩ تيسير مصطلح الحديث، د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، دار إحياء التراث، ١٩٨٠ م.
- ١٠ جهود العلماء في محاربة الوضع، رسالة دكتوراه، إشراف د. زياد العاني، جامعة بغداد.
- ١١ الرفع والتكميل في الجرح والتعديل، الإمام أبي الحسنات اللكنوي الهندي، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، ط ٣، مكتبة المطبوعات الإسلامية - حلب.
- ١٢ سنن ابن ماجه، للإمام الحافظ أبي عبدالله محمد أبي عبدالله محمد بن يزيد الربيعي ابن ماجه القزويني (ت: ٢٧٣هـ)، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط ١، ١٤٢٠ هـ وفق ١٩٩٩ م.
- ١٣ سنن أبي داود، للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت: ٢٧٥هـ).
- ١٤ سنن الترمذي، للإمام أبي عيسى بن سورة الترمذي (ت: ٢٧٩هـ)، بإشراف الشيخ صالح ابن عبد العزيز آل الشيخ، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط ١، (١٤٢٠ هـ وفق ١٩٩٩ م).

- ١٥ سنن النسائي، للإمام الحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت: ٣٠٣هـ)، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٩هـ وفق ١٩٩٨م.
- ١٦ صحيح البخاري، للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦هـ)، بيت الأفكار الدولية.
- ١٧ صحيح مسلم، للإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. (ت/ ٢٦١).
- ١٨ صحيح مسلم بشرح النووي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠١هـ وفق ١٩٨٦م.
- ١٩ علوم الحديث، ابن الصلاح، تحقيق نور الدين العتر، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، ١٩٦٦م.
- ٢٠ علوم الحديث، إعداد همام سعيد، منشورات جامعة القدس المفتوحة، ط ١، ١٩٩٥م.
- ٢١ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني، (ت: ٨٥٢هـ)، المطبعة السلفية ومكبتها.
- ٢٢ قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، لمحمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد بهجت البيطار، ط ١، القاهرة، ١٣٨٠هـ وفق ١٩٦١م.
- ٢٣ الكفاية في علم الرواية، الخطيب البغدادي، منشورات المكتبة العلمية بالمدينة المنورة.
- ٢٤ مسند الإمام الحافظ أبي عبدالله أحمد بن حنبل، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط ١، ١٤١٩هـ وفق ١٩٩٨م.
- ٢٥ لمحات في أصول الحديث، د. محمد أديب صالح، المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٣٩٣هـ.
- ٢٦ معرفة علوم الحديث، الحاكم النيسابوري، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط ١، ١٩٨٠م.
- ٢٧ المفردات في غريب القرآن، تأليف أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، دار المعرفة - بيروت، ٥٠٢هـ.
- ٢٨ مقدمة في أصول الحديث، عبد الحق الدهلوي، دار البشائر الإسلامية، ط ١، ١٩٨٦م.
- ٢٩ المنار المنيف في الصحيح والضعيف، الإمام ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م.
- ٣٠ منهج النقد في علوم الحديث، د. نور الدين عتر، دار الفكر، دمشق، ط ١، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.
- ٣١ الموقظة في مصطلح الحديث، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، دار إحياء التراث، ١٩٨١م.

٣٢ ميزان الاعتدال في نقد الرجال، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت.

٣٣ نزهة النظر شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، لابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

٣٤ النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام مجد الدين أبي السعادات (ابن الأثير) ت ٥٤٤هـ، ٦٠٦هـ.

المشاركون في إنجاز هذا العمل:

تم الكتاب بحمد الله